8me Année No. 361

Lundi - 3 - 6 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

الخصومة الأدبية فى الشرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب كثير من الأدباء فى الخصومة التى كانت بينى وبين الرافعى ، أو بينى وبين شوقى رحمهما الله . فلم أجد فيما كتبوه مدعاة إلى التعقيب أو المناقشة ، وآثرت السكوت عليه

وقرأت للأستاذ الصديق صاحب الرسالة مقالاً عن رأى الرافعى فىّ وفى الدكتور طه حسين ، فرأيت فيما رواه عن الرافعى رحمه الله مذهباً من الخصومة الأدبية يتبعه كثيرون فى الشرق خاصة ، ويأباه كثيرون ولا سيما فى البلاد الغربية . فكتبت هذا المقال لأبين به خطتى فى خصومة الأدب أو خصومة الرأى على الإجمال ، وألمع به إلى موضع الاستقامة وموضع الانحراف فيما قيل حول هذا الموضوع

وكنت أعلم أن الرافعى يقول عنى أحياناً غير ما يكتب . روى ذلك الأديب الكبير محمد السباعى ، ورواه صديقنا الكاتب المبين الأستاذ البرقوقى صاحب البيان ، وكله فى جملته يوافق ما رواه الأستاذ الزيات فى مقال الرسالة ؛ ومنه حرص الرافعى على كتمان هذه الشهادة !

لم هذا الاختلاف بين السر والجهر ، أو بين القول الخاص والقول العام ؟

هذا هو أيضاً موضع الاختلاف بين خطتى فى الخصومة الأدبية والخطة التى كان يؤثرها الرافعى وبعض الأدباء

فأنا أقول الرأى بلهجة وأقوله بلهجة أخرى ، وهذا قصارى ما أستبيح من الفرق بين الرضى والغضب والصداقة والخصومة . أما الرأى فى لبابه فلا يتغير ولا يتناقض ، ولا يسمى أن أجهر بغير ما أكتم ، وإن كنت لا أدين نفسى بنفخ الأبواق ودق الطبول تعظيما لمن يجترئ أن يتناولنى بالتصغير

روى صديقنا الزيات عن الرافعى أنه قال : « أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ؛ ولكنه ينفس عليّ قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان »

وهذا كلام فيه صواب وفيه خطأ . ونستطيع أن نتفق على موقعه من الصواب وموقعه من الخطأ إذا توخينا الإنصاف .

فاذا كان رأيي الذى كتبته فى الرافعى وأدبه ؟

إننى كتبت عنه مرات أن له أسلوباً جزلاً ، وأن له صفحات من بلاغة الإنشاء تسلكه فى الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين

وقلت إلى جانب ذلك إننى أنكر عليه فلسفة البحث وصحة المنطق ودقة القياس

فهل كان فى وسعى أن أرى فى أدب الرافعى غير هذا الرأى أو أشهد له غير هذه الشهادة ؟

كان فى وسعى نعم أن أقولها بلهجة غير التى كتب بها عنى وكتبت بها عنه

ولكن هل كان فى وسعى بعد قراءة أرسطو وأفلاطون وابن سينا وكانت وشوبنهور وهيوم أن أحسب الرافعى من كبار المناطقة مع حسبانى إياه من كبار المنشئين ؟

هبنا توافينا على الودة ولم نتفرق فى الخصومة ؛ فهل كنت أستطيع أن أسيغ القضايا المنطقية التى كان رحمه الله يستكثر منها ويمعن فى الاتكاء عليها ، وهى لا تحتمل الاتكاء ؟

فأنا قد شهدت له بالبلاغة الإنشائية وأنكرت عليه الفلسفة المنطقية ، لأننى أستطيع أن أسلكه مع الجاحظ وعبد الحميد ، ولا أستطيع أن أسلكه مع كانت وابن سينا وهيوم

ومن الذى يستطيع غير ذلك ولو كان من أصدق الأصدقاء ؟ بل من الذى يستطيع أن يدحض الأمثلة التى ذكرتها ورددت إليها إنكارى عليه ملكة البحث الفلسفى والمنطق الصحيح ؟

فمثل من تلك الأمثلة قول الأستاذ فى الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب إن الحيوان لا ينطق من اللغة الإنسانية إلا بما فيه معنى الطعام «وبذلك تأتى لبعض الألمانيين أن ينطق كلبه بألفاظ خالصة من اللغة الألمانية ، ولكنها فى الجملة من حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج عن معنى الإحساس أيضاً »

فقلت له إن كلمة الخبز بالألمانية تقابلها ألف كلمة فى لغات الناس كافة تؤدى معنى الخبز وتختلف فى لفظها أبعد اختلاف ، وعلى هذا يجوز أن ينطق الكلب بكل كلمة تجرى على لسان الآدمى لأن اختلاف الكلمات فى لغة واحدة ليس بأصعب على الحيوان من اختلاف ألف كلمة بمعنى الخبز فى جميع اللغات

فهل هذا قياس صحيح ؟ وهل هذا بحث فى أسرار اللغات ؟

وقلت له إن كلمة « سمك » تؤدى معنى الطعام ، ولكن السين والميم والكاف تدخل فى اصطلاح المهندسين والفلكيين . فلماذا لا ينطق الكلب بلغة الرياضة العليا كما ينطق بلغة الطعام ؟

* * *

ومثل آخر من تلك الأمثلة أنه تعرض لرأى ابن الراوندى فى إعجاز القرآن إذ يقول : « إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى ، فلم تقدر العرب على معارضته ، فيقال لهم أخبرونا لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن ، فقال : الدليل على صدق بطليموس أو أقليدس أن أقليدس ادعى أن الخلق يعجزون أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت ؟ »

تعرض الرافعى لكلام ابن الراوندى ، فماذا قال فى الرد عليه ؟ ... إنه لم يكشف المغالطة الظاهرة فيه وهى أن أقليدس لم يخترع الحقائق التى أوردها فى كتابه ، وليس فى طاقته هو نفسه أن يبتدع كتاباً آخر أو يزيد قضية واحدة على تلك القضايا ، فالعجز يشمله كما يشمل الآخرين ، والدعوى لا تظهر فضلاً له غير فضل الاهتداء إلى الحقائق الموجودة قبله والتى لا يد له هو فى إيجادها بأى معنى من معانى الإيجاد .

لم يكشف الرافعي هذه المغالطة الظاهرة ، بل راح يقول :

« لعمري أن مثل هذه الأقيسة التي يحسبها ابن الراوندي سبيلاً من الحجة وبابًا من البرهان لهي في حقيقة العلم كأشد هذيان عرفه الطب قط . وإلا فأين كتاب من كتاب ، وأين وضع من وضع ، وأين قوم من قوم ، وأين رجل من رجل ؟ ولو أن الإعجاز كان في ورق القرآن وفيما يخط عليه ، لكان كل كتاب في الأرض ككل كتاب في الأرض ، ولا طرد ذلك القياس كله على وصفه كما يطرد القياس عليه في قولنا : كل حمار يتنفس، وابن الراوندي يتنفس ، فابن الراوندي يكون ماذا ؟ »

كذلك خيل إلى الرافعي (رحمه الله) أنه رد على ابن الراوندي وما زاد على أن وصفه بأنه حمار . فمن شاء أن يحسب هذا قياساً فليفعل وله حكمه على عقله . أما أن يحكم على العقول جميعاً بأن تقيس الآراء كما يقيسها ، فذلك هو الشذوذ

وقد نذكر هنا المثل الثالث والرابع والخامس والأمثلة الكثيرة لو كنا نريد الإحصاء والاستقصاء ، ولكننا نريد التدليل ولا نبغي غيره . وفيما تقدم الكفاية

فالذي قلته في أدب الرافعي هو الذي اعتقدته ، بل هو الذي لا أقدر على اعتقاد رأي غيره إلا أن أنسى كل ما عرفت من كتب البحث والقياس

والذي قلته في قياس الرافعي لا يقدر الصديق على أن ينفيه أو يقول بنقيضه ؛ إلا أن تكون الصداقة على غير الحق والإنصاف

ولو قنع مني الرافعي بأن أشهد له بالبلاغة وأن أنقد قياسه وبحثه على النحو الذي تقدم لما كانت خصومة ولا كان جدال . ولكنه اعتد رأيي فيه تجاهلاً وقلة إنصاف ، وزاد فاعتده من العداوة ورصد له ما يرصد للأعداء

وهذا هو أصل الخلاف

* * *

أما ما قيل ولا يزال يقال عن الخصومة الأدبية بيني وبين شوقي رحمه الله فبودي مرة أن أقرأ كاتباً واحداً يقول : « إنك نقدت الشاعر في « كذا » وإن « كذا » هذه خطأ أقيم عليه الدليل ، وهذا هو الدليل »

بودي أن أقرأ هذا لكاتب واحد من الذين يخالفونني في الرأي وينهجون في النقد غير النهج الذي أنتحيه

ولكنهم جميعاً لا يزيدون على الصياح والاستهوال ثم الصياح والاستهوال : يا خلق الله الحقونا... يا خلق الله اسمعوا واعجبوا ... يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول إن شوقيا ليس بشاعر عظيم

وهذا كل ما يقال ، وهذا كل ما يعاد ، ولا مناقشة لرأي ولا استشهاد بمثال

ومنهم من يقولني ما لم أقل ويخرج صارخاً على خلق الله ليزعم أنني عظمت الشعراء جميعاً إلا شوقيًّا وحده فقد خصصته بقلة التعظيم

أكذلك حصل ؟ ... لا . كذلك لم يحصل !

وكل ما هنالك أنني يحق لي أن آكل الخبز الجيد وأن أعيب التفاح الذي يعاب . والخبز بعد ذلك هو الخبز، والتفاح هو التفاح !

وأعجب العجب أن يبلغ الادعاء بهؤلاء أن يغلقوا كل باب للرأي غير رأيهم فلا يخالفهم أحد إلا كان تأويل المخالفة الوحيد نزة شخصية أو قلة إنصاف !

ولو أنهم طلبوا الحقيقة لسهل عليهم أن يعرفوا أن طريقتنا تباين طريقة شوقي ، وأن اختلاف المقاييس بيننا وبينه معقول وطبيعي ومردود إلى أسبابه التي لا نغضي عنها لو أردنا الإغضاء

وأن نزة شخصية بيننا وبين شوقي لم تكن على حال من الأحوال . وليس في مقدور أحد أن يذكر سبباً لها لو اتجهت ظنونه إليها

فكل ما قلناه في أدب شوقي فهو رأينا الذي اعتقدناه ، ولا نحب أن يشير أحد إلى الحجة التي قلناه بها ، فإن بيان أسبابها وتسويغ موقفها لا يعسران علينا ، ولا يخفيان على من يعلم أو يريد أن يعلم ... فالإيجاز في هذه الإشارة أولى من الإفاضة فيها

* * *

وبعد فالخصومة الأدبية لها مذهبان : مذهب الإيمان بالفضل وإخفائه على عمد ، ومذهب الرأي الذي يتفق عليه الأصدقاء والخصوم وإن اختلفا في لهجة الأداء وعبارة الثناء

وهذا هو مذهبنا الذي ندين به ونجري عليه في كل ما اختصمنا فيه ... وعلى الذين يرموننا بقلة الإنصاف أن يرونا مبلغ إنصافهم لنا ، إن كانوا ... منصفين !

عباس محمود العقاد

حركات الإصلاح الإسلامية

أزمـــة إسلامية ؟

للدكتور علي حسن عبد القادر
دكتور في الفلسفة والعلوم الإسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

أيوجد حقاً ما يسمى أزمة إسلامية ؟ وهل صحيح أن الإسلام يجتاز في هذا العصر مرحلة اجتماعية خطيرة ، وأنه يقف الآن عند نقطة فاصلة ويمر بدور حاسم في تاريخه ، وسيبرهن على استحقاقه البقاء والخلود إذا مر بها صحيحاً سليما ؟

كانت هذه الأسئلة تتردد في نفسي وتضطرب وكنت أعالج منها ضيقاً وحرجاً عند ما كنت أقرأ هذه الرسالة الصغيرة « الأزمة الإسلامية » للأستاذ ريشارد هرتمان(١)

ترى هل أحس المسلمون بهذه الأزمة التي لم تنل بالطبع عقيدتهم القوية وإيمانهم الصحيح الخالص، أجل، ولكنها نالت أمراً عزيزاً لديهم . نالت حياتهم في أشكالها المختلفة ومست قوانينهم وشريعتهم ونظمهم الاجتماعية ، وأصبح المسلم مضطرباً في حياته تتقاذفه أمواج شتى من حضارة جديدة وأفكار حرة وتقاليد موروثة ودين راسخ ، لا يجد التوفيق بين ذلك كله سهلاً ميسوراً ، وهكذا فإن المسلمين في جميع البلدان الإسلامية يعانون أزمة وشدة تكاد تودى بحياتهم وقد أودت بها فعلاً في بعض البلاد

لا شك أن الناس لا يقرؤون التاريخ الحديث للاسلام ، أو كأنهم لا يفكرون فيه ككتلة تضم المسلمين في أقطار الأرض ، فهم يغمضون أعينهم عما حصل وما يحصل في تركيا وبلاد الهند الإسلاميتين من حركات وثورات ، بل وما يحصل بين سمعهم وبصرهم في مصر حيث الحياة قلقة والنفوس ثائرة والإسلام ينقبض في عقر داره يوماً عن يوم ، وحيث سلطان الشريعة الإسلامية ضعيف . أترى أن هذا لا يستحق النظر الجد والتفكير العميق ، أو أنه يكفي الصراخ والعويل كلما خرج خارج من أفراد أو دول ؟

حقاً أن رجال الأزهر وهم الذين يمثلون جبهة الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه بما عرفوا به من علم صحيح وفكر مستقيم هم وحدهم الذين شعروا بهذا الخطر الداهم الذي يهدد حياة المسلمين ، وهم الذين أدركوا المنحدر الذي قد ينحدرون إليه ، فهبوا يؤدون رسالتهم التاريخية في شجاعة وصبر ، مضحين في سبيل هذا الواجب بهنائهم وسعادتهم غير مبالين بما يقف في طريقهم من صعاب لا يثنيهم عن عزمهم ما يبيته لهم الخصوم ، ولا يصدهم عن مهمتهم ما يرميهم به ضعاف الإيمان ، وهم من أجل ذلك في أزمة شديدة قاسية مضطربة نفوسهم وحياتهم أيما اضطراب .

في رسالة الأستاذ هرتمان بيان شامل دقيق لحركات المصلحين الذين تنوعت بهم طرق الإصلاح، واختلفت لديهم سبل التجديد تبعاً للثقافات المختلفة التي عرفوها والبيئات التي اتصلوا بها ، فمنهم من رأى الرجوع إلى القديم والتمسك بالإسلام الأول ، ومنهم من رأى الأخذ بالجديد كله ، ومنهم من سلك سبيل التوفيق . وعلى هذا يدور البحث في هذه الرسالة القيمة التي سدت فراغاً كبيراً في الأبحاث الإسلامية الحديثة . والأستاذ هرتمان عالم هادىء الطبع اتصلت به أثناء دراستي ببرلين فعرفته يمتاز عن غيره ممن بحث في العلوم الإسلامية بنضوج الفكرة ، والرجوع إلى الحق إذا ظهر له ، لا يصدر حكمه إلا بعد تريث وترو وفي رفق وأدب . وهأنذا أعرض عليك فصولاً من هذا البحث :

— ١ —

يقول الأستاذ : قلما نجد بين الأديان الكبيرة ديناً ينفذ إلى حياة معتنقيه كلها فردية كانت أم اجتماعية مثل الإسلام . ذلك أنه من وقت النبي والخلفاء أخذت السلطة الدينية فيه شكل الدولة السياسي ، وبقي عدم التفريق بين أمور الدين وأمور الدولة — على الأقل في المبدأ — قائماً إلى الوقت الحاضر . وهكذا ألبس الدين كل شيء ثوب التشريع والفقه ، وقد طور عمل القرون

(١) Rishard Hartmann, Die Krisis des Islam Leipzig 1928

المتوالية هذا الفقه إلى بناء هائل منظم لكل أنواع المعاملات والعلاقات الإنسانية تنظيما دقيقاً ، وأصبحت القوانين كلها ذات ثوب ديني تبعاً لهذا المبدأ الذى لا يفرق بين أمور الدين وأمور السياسة

حقاً إن مثل هذا القانون قد تكون فيه قوة ما دام حياً جديداً موافقاً للعصر المعمول به فيه ، ولكن هذا كان إلى حد محدود، فإنه فى أثناء تطوره لم يكن نافذاً معمولاً به على الإطلاق، لأنه فى الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأعضائها، ولكنه كان عملاً للمؤلفين . وأخيراً عند ما اقتنع الناس بأنه تجب متابعة الخلف للسلف الأول فى كل أمر ، وأن كل ما فصل فيه السلف الصالح مرة فى وقت يجب أن ترتبط به الأمة الإسلامية فى كل الأوقات . لما حصل هذا أصبح الفقه المحدد لكل حياة المسلمين فى ثوبه الدينى المقدس خطراً مهدداً يقف أمام كل إصلاح

ولم يشعر أحد بهذا الخطر ولم يكن حاداً ظاهراً ما دام العالم الإسلامى على قمة الثقافة . كان هذا فى العصور الوسطى ، وكانت الحياة المسيحية إذ ذاك تشبه هذا إلى حد ما ، حيث كانت حياة المسيحيين تحت سلطان الكنيسة ؛ وكانت هناك ثقافة ومدنية مسيحية كما كانت هناك ثقافة ومدنية إسلامية ، وكلاهما بالرغم من تخالفهما فى العقيدة كانا متقاربين ، ونشأ ومن ورائهما ثقافة وثنية . وبينما كان الدين فى الغرب يرجع إلى الوراء وتضيق حدوده أثناء مرحلة التطور من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وتحل محل المدنية المسيحية للعصور الوسطى مدنيةٌ وطنية – بقى الإسلام سائراً فى طريقه القديم القائم على الدين . ومن هنا كانت الثغرة بين الشرق والغرب واسعة ، وبقى الشرق والغرب كل له لغته الخاصة إلى يومنا هذا

وأخيراً نوقشت مسائل التاريخ ، وفتح المسلمون أعينهم على وضع المدنية الإسلامية للقرون الوسطى إزاء المدنية الحديثة . فماذا كانت النتيجة ؟

إن العالم الإسلامى يقف الآن عند نقطة فاصلة ، فهو فى أزمة ، فهل قطع الإسلام — الذى يظهر مرتبطاً بالعصور الوسطى — كل شوطه وأتم القيام بدوره ؟ وهل هذا المرض الباقى إلى الآن من الإسلام نفسه ؟ أو أن الإسلام كدين متفقٌ مع الإصلاح الحديث ؟ وهل يستطيع الإسلام أن يتخلص من تأخر العصور الوسطى التى ارتبطت به ؟ وهل هو فى نفسه صالح وقادر على التطور ؟

على جواب هذه الأسئلة يتوقف كيان الإسلام كدين ، بل حتى فى الأمور السياسية والاقتصادية بالنسبة لمستقبل الشعوب الإسلامية

ولقد كانت مسألة عدم استطاعة الإسلام لإصلاح حقيقى ، وعدم صلاحيته للتقدم ، عقيدةً سائدة عند الغربيين منذ عشرات السنين ، ولم تكن هذه العقيدة سائدة عند « أهل التبشير » ، وفى أوساط المبشرين الذين لا يفهمون عن الإسلام إلا صورة ناقصة جداً وغير صحيحة ، بل إن الأمر تعدى إلى بعض مؤرخى الأديان مثل رينان الذى كان يقول : إن الإسلام عدو للعلم[1] . بل قد تعدى إلى بعض السياسيين العارفين بشئون العالم الإسلامى مثل اللورد كرومر الذى حكم على الإسلام حكما قاسياً حين قال : إن إصلاح الإسلام يخرج الإسلام عن أصله[2]

ونحن لا ننكر أن ما قيل من أن الإسلام عدو للاصلاح وليس ملائماً للأفكار الحديثة ، قد يكون له بعض الأسباب ؛ ولكنا هنا لا نلق الكلام على عواهنه ، ولا نعرض لأحوال غير مفهومة لعوام المسلمين الذين أثبتت الملاحظات شيئاً من تعصبهم ، فإن ذلك كله لا يرجع إلى الدين الإسلامى نفسه ، بل إلى العناصر والبيئات التى حل فيها ، أو إلى ما انتشر بين الناس من أن الإسلام ليس إلا تكراراً لليهودية والمسيحية ، فمثل هذه الأشياء قد تكون موانع للاصلاح ، ولكنها على أقصى حد أمور تبعية شكلية وليست أموراً أصلية . وأنه من البعد عن موضوع البحث أن نتكلم عن هذه الظواهر الشعبية فى الإسلام ، التى هى عبارة عن توفيقات بين تعاليم الدين وبين ما هو متأصل قديم فى الشعوب من أفهام ضعيفة وأخرى ساذجة . ولكى يحكم الإنسان على جماعة دينية لا بد له من أن يحكم على مبادئها الصحيحة ، وفى

(١) — S. E. R. l'Islamisme et la science (Paris 1883) — Discours et Conférence (Paris 1889) p. 375 ff.

(٢) S. Modern Egypt II, 229 "Islam cannot be reformed; that is to say, reformed Islam is Islam no longer : it is something else".

الإسلام يجب علينا أن نفهم مبادئه بكل وضوح ، وأن نستبعد عنه ما ارتبط به من أفهام العوام ، وحينئذ فقط يكون حكمنا صحيحاً سليما

ولسنا فى حاجة اليوم ـ لكى نفهم الإسلام فى أطواره التاريخية ـ أن نقرر أنه لا يجوز لنا أن نرجع مباشرة إلى صاحب الرسالة (ص) كما نعرفه تاريخيًّا ، فإن جاز لنا ذلك فإن الأمور تكون فى غاية البساطة ، لأنه ليس من شك فى أن النبى — الذى لم يكن نبيًّا فقط بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون ، بل كان سياسيًّا يدير أمور الدولة — كان فى الحقيقة واسع الأفق فى دعوته ويحسب للأمور حسابها . وجوابه المعروف : « إعقلها وتوكل » كلام له مغزاه ؛ ويجب ألا ننساه فى مجرى التطورات الأخيرة فى الإسلام. ولكن الواقع أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول فقط لا يعرفه الإسلام التاريخى على ما هو عليه بجزء من حقيقته الصحيحة ، فإن الإسلام كما يعتقد أهل السنة ليس إلا نتيجة لتطور طويل كثير التقلب . ذلك أنه لم يكن الإسلام فى عهد الرسول إلا إيماناً سهلاً وقوانين للحياة بسيطة . وعند ما انتشر بهذه السرعة الفائقة فى بلاد ذات ثقافات مختلفة غير التى كانت فى مهده الأول ، دعا الأمر إلى تحوير وتشكيل . وهكذا تمّ للإسلام إضافة أشياء إليه أثناء امتزاجه بالتراث العقلى الذى كان عند سكان الأمم المفتوحة . حتى أمور العقائد التى بقيت بعد كفاح شديد مقصورة على مبادئ قليلة خضعت لجولات واسعة حرة من الشرح والتفسير . وكان أكثر شىء توسعاً وازدياداً هو تنظيم أمور الحياة أو بعبارة أخرى الفقه والقانون . ولكن هذا الفقه الإسلامى الذى كان فى نوعه دينياً سياسياً ثقافياً، والذى كان منذ اللحظة الأولى أمراً لا يقبل التغيير ، أقفل نهائياً وختم فى نهاية القرن الثالث الهجرى تقريباً ، فوقف نشاط حركة دينية سياسية ثقافية نشيطة سنلم بأسبابها فى المقال الآتى .

على حسين عبد القادر

إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البرى للسيارات]

للأستاذ على الطنطاوى

حين تصل هذه المقالة إلى الرسالة، يكون الركب الذى خرج من دمشق منذ أسبوعين يؤم الحجاز قد شارف المدينة إن شاء الله. وهو أول ركب من الزوار يسير على الطريق الذى كشفناه، وفيه قريب من ثلاثمائة رجل وامرأة، ووصوله سالماً إلى المدينة، وذلك بفضل الله مؤكد، هو الثمرة الأولى لرحلتنا الكشفية التى رحلناها فى ربيع سنة ١٩٣٥. ولقد كان أول ما خطر على بالى حين دعيت إليها وضع كتاب عنها، فكنت أتأبط دفترى دائماً، فلا نسلك طريقاً، ولا نقطع وادياً، ولا نرى جبلاً، إلا كتبت اسمه وصفته، وطبيعة أرضه؛ ولا يمرّ علىّ قوم إلا سألت عن أنسابهم وأحوالهم، ووصفت مساكنهم، وذكرت ما عرفت من عاداتهم، وسمعت من لغاتهم؛ ولا بتنا ليلة إلا ذكرت كيف حططنا الأحمال، وكيف نهضنا للارتحال؛ ولا أرى منظراً، أو أشهد مشهداً، إلا ذكرت أثره فى نفسى، وما أثار فيها من عاطفة، أو هاج من ذكرى، على ضبط فى الأرقام، وتحرّ فى جمع الأخبار، وتوثّق من صدق الراوى وخبرته، حتى إذا دنونا من المدينة وأوفى الكتاب على الكمال، وقارب النهاية، امتدت إليه يد لا يعلمها إلا الله فذهبت به، فأيست منه وأهملته، وجعلت لا أكتب شيئاً، ولا أدوّن خبراً، إلا ما كان من وصف طريق العودة فهو مكتوب عندى، وما كتبت من المقالات فى مجلة الرسالة أو فى غيرها.

وعدت إلى دمشق فانغمست فى عملى، ثم ضرب الدهر ضرباته فسافرت إلى العراق أولاً وثانياً، وعملت سنة فى لبنان أدرّس فيها، وحسبتنى نسيت الرحلة ونسيها الناس، حتى كان هذا الشهر وحقق الله ما ذهبنا إليه، ورأت دمشق اليوم الموعود، فسافرت أول قافلة من الزوار، وألحّ علىّ الأصدقاء، وأعادوا الطلب منى أن أنشر وصف تلك الرحلة، فأجبت مكرهاً ونفضت ذهنى، فكتبت ما بقى عالقاً به وجعلت غرضى أن أدوّن ما رأيت وما سمعت، وأسجل ما أحسست به وشعرت، من غير أن أعمد إلى كتاب من كتب التاريخ أو رحلة من الرحلات، فآخذ منها الفصول والأخبار والأرقام، وأن أعرض على القارئ صورة من الحياة البدوية، إذا هى لم تكن محيطة شاملة، ولم تكن كافية وافية، فهى صحيحة ثابتة، ليست متخيلة ولا مبالغاً فيها، فإن أحسنت فلله الحمد، وإن أسأت فالذنب على من سرق (دفترى) عفا الله عنه وسامحه

* * *

وبعد، فهذه رحلة كشفية سلخنا فيها شهرين اثنين وقطعنا فيها خمسة آلاف كيل فى الصحراء ... وركبنا فيها من الأهوال ورأينا من العذاب ما لو سردناه وفصّلناه لكان أشبه شيء بالأساطير

ولم تكن هذه الرحلة من أجل التسلية أو النظر فى عجائب المخلوقات وغرائب البلدان، ولا للكسب والتجارة، ولا لشىء مما يرحل أفراد الناس من أجله عادة، بل كانت لمصلحة عامة، وغاية اجتماعية، تعود على بلاد الشام وأرض الحجاز بالخيرات الجمة والفوائد الكثيرة، هى فتح طريق للسيارات بين دمشق والمدينة يسهل على الناس أمر الحج ويرغبهم فى أدائه ويوفر عليهم صحتهم ومالهم. ولم تكن هذه الرحلة رحلة واحد يهتم به أهله وأصحابه، ولا جماعة يعنى بهم أقرباؤهم وذووهم، ولكنها رحلة وفد من وجوه الشاميين وسراتهم وتجارهم. وكان الشاميون جميعاً يتبعونهم بأفكارهم ويرافقونهم بقلوبهم وينتظرون البرقيات منهم ويتسقطون أخبارهم، فإذا انقطعت أياماً انتشر القلق وساد الذعر وهاجت الجرائد، وأقبل الناس يسألون عن أبنائهم وإخوانهم ... فتهتم لذلك حكومة الشام ومملكة الحجاز، ثم لا ينقطع القلق ولا تسكن النفوس حتى يعرف خبر الوفد وتجىء منه برقية أو رسالة

* * *

وكان أول عهدى بهذه الرحلة أن لقينى الشيخ ياسين الرواف المعتمد السابق للمملكة العربية السعودية فى دمشق، فقال لى: لقد عزمنا على اختراق الصحراء إلى المدينة، نكشف طريقاً للزوار برّياً، فهل لك فى مرافقتنا؟

قلت : نعم ، ومضيت فى سبيلى وأنا أراها أمنية من الأمانى وأعلم أن بضاعتنا إنما هى الكلام ، وأن الوفد لن يسافر ، والطريق لن يفتح ، ولذلك قلت له نعم ، وأجبته إلى السفر . وهل كان يسمنى أن أقول له غير ذاك ؟ تصوّر رجلاً مسلماً يستقبل البيت خمس مرات كل يوم ، ويحِنّ إلى هاتيك المعاهد ، ويرى زيارته منيته ومبتغاه ، وعربياً يحب الصحراء ويعرف أخبارها ، ويحفظ آدابها ، ثم يدعى إلى قطع الصحراء وزيارة الحرم ، هل يقول لا ؟ هل يرفض الوقوف أمام الحجرة الشريفة ، والقيام فى الروضة ، والصلاة حيال الكعبة ، والشرب من زمزم ، والسعى بين الصفا والمروة ، وزيارة هاتيك البقاع المباركة التى ولد فيها الإسلام ودرج ، وعاش فيها سيد العالم صلى الله عليه وسلم ، ويأبى أن يخالط العرب فى أرضهم ، ويعرفهم فى ديارهم ، ويرى عياناً ما كان يقرأ خبره فى الكتب ، ويعرف أخباره على السماع ؟

ولقد كنت أعلم أن هذه الرحلة جراءة على الموت واقتحام للخطر ، وهجوم على الصحراء الهائلة التى طالما ابتلعت من أمم وأبادت من جيوش ، ولكن ذلك كله كان يرغبنى فى الرحلة ويحببها إلىّ ، لما ركّب فى طبعى من حب المغامرة والإقدام ، ولأنها درس من دروس الحياة لا أجده كل يوم ، هذا الدرس الذى من فصوله الصبر والجرأة والحزم والعزم والوحدة والنظام ، يحتاج إليه كل شاب ينشأ فى بلاد ليس فيها نظام عسكرى كالبلاد الشامية ؛ وأن الشبان الذين ولدوا فى الحرب العامة أو قبلها بقليل قد فقدوا لطول ما نشأوا على النعم وتقلبوا فى الترف طرفاً من الرجولة ، وغدوا لما وجدوا من السلامة وفقدوا من المصاعب يميلون إلى التطرّى والتأنث ، ويخشون الخروج من المدن ويهابون الحياة فى الريف ؛ حتى أن إخواننا من المعلمين إذا أمر أحدهم بالانتقال إلى قرية من القرى فكأنما أمر بالانتقال إلى جهنم . وما ذلك لسوء عيش القرى فليس فى القرى إلا صحة الأجسام وصفاء النفوس وجلاء النظر وراحة الفكر ، بل لأنه لا يجد فى القرية (قهوة) ندياً فاسد الهواء مسدود الأبواب ، يجتمع فيه مائتان أو ثلاثمائة على نفخ الدخان ، وقرع النرد ، وحديث كأنفه ما يكون من الحديث ، ونكات كأثقل ما يكون من النكات – ولو أن الشباب ألفوا المغامرة وركوب الأهوال ، لما كان من ذلك شيء

ومرت أيام ثم لقينى الأستاذ الرواف كرة أخرى فقال لى : هلم فقد تقرر موعد السفر

فأسقط فى يدى ووقعت بين مشكلتين : مشكلة الوعد ، ومشكلة الوظيفة . فلا أنا أستطيع أن أضحى بوظيفتى ومنها معاشى ومعاش أسرتى ، ولا أنا أستطيع أن أخلف وعدى . ولو أنى وعدت غير الشيخ ياسين لهان الأمر ، ولكن الرجل نجدى سلفى لا يعرف من كلمة نعم إلا أنها وعد مبرم لا يحله إلا الموت؛ فاخترت الوفاء ولو خسرت الوظيفة وقلت له : أنا حاضر !

ثم يسر الله فسمحت لى الوزارة بالسفر ، وذهبت أعد الجواز. وجعلنا كلما أزمعنا السفر ، وودعنا الأهل والأصحاب ، عرضت لنا الموانع ، فأخرتنا حتى ضجرنا واستحيينا من الناس لكثرة ما نعزم ثم نقعد ، وكان أكثرنا قد أقلع عن حلق لحيته ليوفرها ، ويجمع منها لحية كبيرة ، لما ظنوه من أن الرجل هناك بلحيته ، فكلما كان أطول لحية كان أعلى مقاماً . . . فكانوا يأسفون عليها ويضنون بها على الحلق ، ويستحيون أن يواجهوا الناس بها ، لأن هذا الزمان جعل المعروف من السنة منكراً يستحيا منه ، والمنكر من البدعة معروفاً يفتخر به . ولبثنا على ذلك أياماً ، ثم عزمنا العزمة الأخيرة ، فبيّتنا ثقلنا فى المرأب (الكاراج) حتى نغدو مسافرين . فلما حملناه ورآه أصحابنا وجيراننا ، جاؤوا يودعوننا الوداع السابع ونحن لا ندرى أهو الوداع حقاً ، أم سنقيم بعده أياماً وليالى أم لا نسافر أبداً

كنا فى المرأب مع الفجر ، وجعلنا ننتظر حتى طلعت الشمس ، وكان الضحى ، وأذن الظهر ، وكان العصر ، فأيسنا ، وهممنا بالانصراف ولكن السيارات حضرت ، وتحقق الرحيل ، وكانت أربعاً من طراز (البويك) وواحدة من (الناش) . وقد رفعوا على السيارة الأولى علماً سعودياً ، وعلقوا فى صدرها لوحة كتبوا فيها « الوفد السوري لاكتشاف طريق الحج البرى » . وسرنا وسار وراءنا المودعون فى قطار من السيارات الكبيرة ما له آخر يعرف ، حتى لقد ظننت أنهم لم يدعوا فى البلد سيارة إلا استاقوها ، واخترق الموكب المدينة مهللاً مكبراً تهتز له الأرض ...

ولم أكن قد أيقنت بالسفر إلا فى تلك اللحظة . فلما تصورتنى كيف أفارق أهلى وموطنى ، وأطوح بنفسى فى هذه الصحراء

الخيفة ، استعبرت . وكنت أطلّ على بَرَدى ، وهو يجرى زاخراً فأتأمله ، فأجده أحلى فى عينى مما كان ، وأحب إلى نفسى ، وعزّ علىّ أن أفارقه ، واستفاقت فى ذهنى مئات من الذكريات ، وكرّت علىّ حياتى كلها كأنها (فِلْم) أراه ، فأبصرت فى كل بقعة من دمشق ، وكل طريق من طرقها قسماً من حياتى ... وهل حياة المرء إلا فى قلوب أصدقائه ، ووجوه أصحابه ، وجوانب داره ، ومشاهد بلده ؟ فإذا فارق أهله ، وغادر بلده ، إلى بلد لا يعرفه ، وأهل لا يألفهم ، فكأنما مات نصف ميتة . ومن أجل ذلك كانت الهجرة جهاداً فى سبيل الله ، ذلك لأنها لون من ألوان الموت ، ولكن صاحبها ميت يعيش ليتألم ، والميت مات فاستراح

واستغرقت فى هذه الأفكار فما صحوت إلا والموكب قد بلغ (بوابة الله) ووقف فى ظاهر دمشق ، ولم يعد موكباً وإنما صار طوفاناً من البشر ، ولجًّا طامياً من الناس ، وكان من ثقله يزحف زحفاً ، ويكبر فيزلزل الأرض ، ويهتف فيشق عنان السماء ، فلما بلغ (البوابة) وقف للوداع ...

(لها بقايا) **علي الطنطاوي**

النقد الرخيص

للأستاذ محمد محمد المدني

لا شك أن النقد أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، وأنه ما دامت العقول المفكرة ، والأقلام الكاتبة ، فلا بد أيضاً من الآراء المتضاربة !

ذلك أن الناس يختلفون فيما يُصدرون عنه اختلافاً شديداً تبعاً لاختلاف حظوظهم من العلم والعقل والتفكير ودرجة التأثر « بالعرف الطائفى » و « البيئة الخاصة » :

هذا كاتب يستطيع — حين يعالج موضوعاً من الموضوعات — أن يُخلص للحق فيه أكثر من إخلاصه لأى شئ سواه ، فتراه يخلع ما عسى أن يكون له من آراء كوّنها لنفسه باعتباره عضواً فى بيئة خاصة ، أو متأثراً بظروف معينة ، بل كوّنتها له هذه الظروف وتلك البيئة من حيث لا يشعر ؛ فإذا خلع هذه الآراء وتحلل منها — ولو مؤقتاً — ولم يجعل لها سلطاناً على تفكيره ، ولا أثراً فى طريقة بحثه ، استطاع أن يصل إلى النتيجة التى يبتغيها وهو أبعد عن مزالق الخطأ ، وآمنُ من مواقع الهوى !

أما إذا فرض الكاتب على نفسه ثقافة معينة أيّاً كانت قيمتها فسلّم بقضاياها ، واطمأن إلى عرفها ، واستراح إلى أحكامها ، ثم تناول ما يريد من بحث على هذا الأساس ؛ فقلما يصاحبه التوفيق أو يصادفه النجاح ، لأنه إذا صادفه فى أثناء بحثه ما يخالف هذه القضايا التى آمن بها واطمأن مقدماً إليها ، نفر منه وضاق صدراً به فاضطرب لذلك ميزان تفكيره واختل معيار منطقه !

ولا تجد شيئاً أضر على العلم ، ولا أسوأ أثراً فى العقل ، ولا أشد إفساداً للرأى ، من التعصب وإدخال « الطائفية » فى مجال البحث والنقاش . ذلك أن العلم والعقل والرأى ليست وقفاً على طائفة من الناس دون طائفة ، وليس أحد أولى بأن يزعمها لنفسه من أحد ، وليس لمنصف أن يحكم فيها عرفاً دون عرف ، أو ثقافة دون ثقافة ، وإلا خرج عن دائرتها ، وتحلل من منطقها !

ومن هنا يأتى النقد ، ومن هنا أيضاً تختلف قيمته ، فيكون بعضه غالياً ثميناً ، وبعضه مبتذلاً رخيصاً . وتختلف كيفيته ، فيكون بعضه هادئاً نزيهاً ، وبعضه هائجاً سفيهاً ! وكل ذلك بحسب اختلاف معينه الذى فاض عنه ، أو إنائه الذى نضح به !

ففى ناحية التفكير الرشيد ، والعقل المتزن ، والعلم الموثوق به ، تجد النقد الهادئ ، والرأى السديد ، والأسلوب الراقى ، واللفظ المهذب ؛ وفى ناحية التفكير القاصر ، والأفق المحدود ، والعلم الذى هو أشبه بالجهل ، تجد النقد الهائج ، والرأى الفطير ، والأسلوب الوضيع ، واللفظ البذئ !

ولهذا وذاك أمثلة فيما يطلع به الناقدون على الكاتبين من نقد أو اعتراض ، وفيما تجرى به حركاتهم وألسنتهم من فعل أو قول . ولو شئنا لمثلنا هنا بما نعرف فلا سودت وجوه ، وابيضت وجوه ! ولكنا نعرف أن الموازنة على هذا النحو تؤلم نفوساً لا نحب لها أن تألَم ، وتقضُّ مضاجع عزيزاً علينا أن تُقض ، فحسبنا أن نجمل على ذلك علامة يلمح بها ما نريد أن نصلحه ، ولا نريد أن نفضحه ، من « النقد الرخيص »

إذا أردت ، أيها القارئ الكريم ، أن تعرف قيمة النقد فانظر إليه ، فإن وجدت صاحبه يبحث فى الجوهر واللباب ، دون العرض والقشور ، ويطيق أن ينشرح بالحق صدراً ، ويعترف به جهراً ، فى أسلوب عفيف ، ولفظ مهذب ، فذلك هو « النقد الثمين »

وإن رأيت صاحبه يشغل الناس بغير الحديث ، ويهرب من مواجهة الحق ، ولا يُكرّم قلمه أن يسيل بالألفاظ النابية ، والكلم الجافية ، كأن يرمى الذى ينقده بالجهل ، وسوء النية ، والملق ، والضعف ، والعقوق ، والفسوق ، وغير ذلك من الأوصاف ، فاعلم بأن هذا هو « النقد الرخيص »

وإنما كان كذلك لأنه لم يكلف صاحبه جهداً ، ولم يتقاضه تفكيراً ولا تعباً ، فقصاراه أن يكون مجموعة من القول السيئ لُزّت فى قَرَن ، ثم قذف بها صاحبها فى وجوه الناس ، فأبت إلا أن تعود إليه لتلتصق به !

وقد عنى القرآن الكريم بأن يرسم للناس طريق الأدب فى هذا المجال واضحاً، وأن يضرب فيه الأمثال، والله بكل شيء عليم !

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يُلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ؛ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »

وينبغى على كل حال أن يغتبط الكاتب ذو الفكرة بما يتطاير حوله من سهام النقد ، أو يثور عليه من غبار الاعتراض ، فإن ذلك دليل واضح على أن فكرته قد وضعت موضع النظر ، وأنها جديرة بالأخذ والرد والمناقشة والجدال

أما الفِكَرُ الهزيلة الساقطة فهى التى تولد فلا يحس بميلادها أحد ، وتموت فلا يشعر بفقدها أحد ، وصاحبها فى الحالين مغمورٌ مغمور !

وينبغى أيضاً أن يكون الكاتب — مع اغتباطه بما يرى من الاهتمام بفكرته — مترفعاً محتفظاً بمستواه ، فلا يغريه إخلاصه للفكرة ، وتفانيه فى الذود عنها ، بأن يتنازل لغير الأنداد ، فيجادل فيها الوضيع كما يجادل الرفيع ، ويناقش الجاهل كما يناقش العالم، ويعامل المكابر المعاند بما يعامل به المستوضح المتثبت ، ويسوى بين « النقد الرخيص » و « النقد الثمين » فإن فى الناس من يجعل ذلك حيلة ، ويتخذ منه وسيلة ، ليطير ذكره ويذيع اسمه. فليحذر الكتاب هذا النوع من الناقدين وليفوتوا عليهم قصدهم ، ويعكسوا — بإهمالهم — غرضهم !

وفى مثل ذلك يقول بشار بن برد : « هجوت جريراً فأعرض عنى واستصغرنى ، ولو أجابنى لكنت أشعر الناس ! »

وقد اعتذر مسلم بن الوليد عما ترك من هجاء دعبل الخزاعى بأنه ليس كفئاً لهجائه ، وأن عرضه أدقُّ من أن يُهجى ، فهو يتركه لهذا العرض الدقيق . قال :

أما الهجاء فدقّ عِرضُك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذليل!

وكما ينبغى للكاتب أن يحتفظ بهذه المنزلة الكريمة لنفسه ، ينبغى له أن يحتفظ بمثلها للمنبر الذى أشرف على الناس منه ، فإذا كتب كاتب فى « الرسالة » مثلاً فعليه ألا يشوه جمالها بما يَرُدُّ فيها على « النقد الرخيص » يُنشر فى غيرها

تلك شرعة النقد والكتابة عندى ، وأنا أولى بأن أطبقها على كل من نقدنى فأسرف

فيأيها الذين نقدتم فأسرفتم ، ويأيها الذين نبا بكم القلم حين كتبتم : اذهبوا جميعاً فأنتم الطُّلَقَاء !

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

كفاءة هتلر الخطابية

للأستاذ عباس محمود العقاد

[يصدر في هـذا الأسبوع كتاب جديد لصديقنا الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد عنوانه «هتلر في الميزان» ، وهو دراسة تحليلية مستفيضة لهذا الطاغية الشاذ بلغت مائتين وأربعين صفحة في خمسة فصـول وعشرات من الموضوعات شملت نواحي هذه الشخصية التي بلبلت العالم وزلزلت الأرض. ويسرنا أن نبادر فنقدم إلى قراء الرسالة هذه الصفحات من هذا الـكتاب القيم لنعجل لهم بعضاً من لذته ، ونعرض عليهم وجها من طريقته]

في كل شهرة خطابية منافذ للمبالغة والإطناب لا بد منها في كل زمان ، وفي زماننا الحاضر خاصة

ومنافذ المبالغة والإطناب هذه تأتي من مصادر متعددة : بعضها برىء وبعضها متهم ، ومنها المقصود المدبر ، ومنها الذي يحدث على غير قصد وتدبير

فأول مصادر المبالغة والإطناب جمهور السامعين ، وهم كدأب الجماهير يحبون أن يتأثروا وأن يخلقوا لأنفسهم دواعي الحماسة والمغالاة ، وأن ينوموا أذهانهم تنويماً يسهل لهم أن يعتقدوا ما يحبون اعتقاده ، وأن ينساقوا في موجة من الشعور لا تطيق الحدود ، ولا تقف دون الإعجاب الكامل . لأن الوقوف عند حد من الحـدود المعقولة يفسد الحماسة . وليس إفساد الحماسة مما تطيقه الجماهير

وهي ، أي الجماهير ، طبقات في هذه الخليقة: ترتفع أو تهبط، وتعتدل أو تجمح مع الشطط ، على حسب موقفها من الخطيب وموضوع الخطابة

فإذا كان موضوع الخطابة نعرة قومية أو شهوة عدائية يشترك فيها الخطيب والسامعون ، فالجمهور في هـذه الحالة على استعداد للحماسة والإطناب بغير مقدرة كبيرة في الخطيب

وإذا كان السامعون مرؤوسين لذلك الخطيب ، أو أتباعاً متشيعين لحزبه ، يكرهون الغض منه لأنهم يحسبونه غضاً منهم ، ويحبون إكباره لأن كبره منسوب إليهم ، فهم إذن أكثر استعداداً للحماسة والإطناب

وإذا كانوا فوق هذا صغاراً ناشئين يفورون بحرارة السن الباكرة فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستسلموا لما يسمعون، وألا يجشموا الخطيب معجزة الإبداع ، ليستجيش بها قلوباً هي من قبل ذلك لا تهدأ من الجيشان

فأدنى الجماهير إلى التسليم هو جمهور صبية ناشئين يصغون إلى زعيم يفخرون به فخر العصبية ، ويسمعون منه صيحة الكبرياء الوطنية ... وهذا هو جمهور هتلر في جميع المواقف ، إلا القليل الذي لا يذكر

وقد شهد الناس في مصر مجامع يحتشد لها السامعون زرافات زرافات من جميع الطوائف والأسنان ، ليسمعوا كلاماً يعلمونه ويحفظونه ، من خطيب لا يعجب السامع بصوته ولا بإيمائه ... بغية الاجتماع في الواقع لا بغية الاستماع

ثم تتكرر الدعوة ويتكرر الإقبال ويتكرر التصفيق الذي لا باعث إلا الرغبة في شيء يثير الشعور ويدفع السآمة و « يبرر » للجمهور وجوده وسعيه وانتظاره ، ويريحه من الحكم على « وجوده » بالفناء . والفناء كريه إلى كل موجود ، جمهوراً كان أو غير جمهور !

وفي وسعنا أن نشهد كل يوم حشداً من الناس يبذلون من مالهم ليستمعوا إلى ممثل مضحك مشهور في دور من الأدوار . فما هو إلا أن يلفظ الـكلمة الأولى حتى ينفجر السامعون بالضحك والقهقهة . وربما سأل أحدهم جاره : ماذا قال ؟ بعد أن يكون قد ضحك مع الضاحكين !

فالمصدر الأول للمبالغة والإطناب في شهرة الخطباء هو أبرأ المصادر وأخلاها من الغش وفساد الذمة ، وهو دفاع الجمهور عن وجوده حيث انتظم له وجود

* * *

والمصدر الثاني وسط بين البراءة والاتهام ، وبين الاندفاع والتدبير : وهو مصدر الرواة وكتاب الأخبار

فإن الصحيفة الإخبارية لتتعمد التهويل والإغراق في وصف حادثة هينة لا تستحق الالتفات إليها . لأنها تريد من القراء أن يلتفتوا ؛ وتعيش من التفاتهم إلى ما تكتب ، لا من تعويدهم أن يهملوا الأخبار التي تستحق الإهمال

والـكاتب الذي يسافر ألف ميل لينقل خطبة يلقيها أحد الزعماء في يوم مشهود مرتقب المصير من الغرب إلى الشرق قد يفقد وظيفته إذا قنع بما دون السحر والإعجاز في وصف ما سمع وما رأى،

وما لبث الناس ينتظرونه ويتكهنون به متشوقين متلهفين !

وقد تتفق الرواية الأمينة فى الصحيفة الرصينة فيقرأها القارئ المسئول ويعرض عنها طالب المناظر والعناوين ، ممن ينظرون إلى مسرح السياسة كما ينظرون إلى مسرح التمثيل ، وهم جمهرة القراء والنظارة فى كل مكان ، فيتواتر النبأ المبالغ فيه ، وينقطع النبأ الذى يحرص على الصدق والأناة ، وينتهى الأمر برواج الكذب والتلفيق ، وبالشك فى الصدق والأمانة .

فبالغة السامعين ومبالغة الرواة ملازمتان لكل شهرة سياسية فى كل زمان ولا سيما زماننا الحاضر : زمان النشر والإذاعة ، وزمان التشوف إلى الجدة والغرابة ودفع الملل والسآمة

***

ويأتى بعد مبالغة السامعين ومبالغة الرواة مصدر آخر من مصادر التهويل فى الشهرة الخطابية قائم على النية السيئة والخطة المرسومة ، ونعنى به مصدر الدعوة المسخرة والأقوال المأجورة ، وهو سلاح يعتمد عليه النازيون خاصة فوق اعتمادهم على سلاح الميدان

وجميع هذه المبالغات قد بلغت فى تعظيم شهرة الزعيم النازى أقصى ما يتاح لشهرة أن تبلغ على الإطلاق : فاهتمام النازيين بالدعوة المسخرة قد جاوز كل اهتمام وجمهورهم أقرب الجماهير إلى التسليم والاستسلام ، وحملة الأقلام ما فتئوا عدة أعوام يتنافسون فى إشباع نهمة القراء بين جميع الأقوام

***

فمن الطبيعى إذن أن تكون حقيقة هتلر الخطابية أقل كثيراً من شهرته التى أذاعها الدعاة والصحفيون والسامعون من أتباعه ومريديه ، وأن يدخل فى حساب شهرته كثير من المبالغة والاختراع و « الإخراج »

ونحن فى عصر نسمع فيه الخطباء ونراهم على بعد ، ونحكم على المتكلم فى برلين أو موسكو أو واشنطون حكم راء وسامع ، فما على المذياع ولا على الصور المتحركة من بعيد

وقد رأينا هتلر وسمعناه

فهو ولا شك خطيب مبين ، ولكن لا شك كذلك أنه ليس من ملوك الكلام فى عصرنا الحاضر ؛ وأنه لا يعد من طبقة الخطباء الذين يخاطبون كل جمهور ويتكلمون فى كل قضية ويروضون عصى الأسماع ، ولا نخاله يحسن القول بضع لحظات فى موضوع غير الموضوع الذى يقلبه منذ عشرين سنة ، أو بين أناس غير الذين يوافقونه فى الجملة ، ولا يخالفونه - إن خالفوه - إلا فى التفصيل

فليس هو فى إفاضة بريان ، ولا فى بادرة لويد جورج ، ولا فى مهابة سعد زغلول

ولكنه أقرب إلى الممثل الذى كرر دوره حتى حفظه ووعاه ووقع فريسة له فلا يقدر على تبديله

تخيله مثلاً غير غاضب ، أو غير متكلم فى مظالم ألمانيا المزعومة ، أو غير مطمئن إلى آذان سامعيه

وتخيله واقفاً فى لندن أو فى موسكو أو فى القاهرة يفاجئ السامعين على غير معرفة باسمه ، ولا عهد بموضوع كلامه

إنه إذن ضائع لا محالة

وعيبه الأكبر أنه لا يُقنع ولا يقيم الدليل ، وأنه ما خرج قط على عادة واحدة تتردد فى جميع مواقفه وموضوعاته ، وهى إثارة الحفائظ وإضرام الكراهية ومواجهة السامعين من جانب الشعور المتفق عليه بينه وبينهم . . . وفيم اجتهاده فى إقناع من هو قانع ؟ وإيمان من هو مؤمن بغير برهان ؟

ومرجع هذه العادة عنده إلى علل كثيرة : بعضها أصيل عالق بطبعه ؛ وبعضها حديث طارئ عليه من حوادث حياته وعصره

فالحديث الطارئ عليه هو هذا الذى ذكرناه ؛ وهو أنه تعود فى أيامه الأخيرة على الأقل أن يخاطب أناساً لا يحاسبونه ولا يجسرون على حسابه ، ولعلهم لا يريدون أن يحاسبوه لاتفاق الشعور بينهم وبينه

والأصيل العالق بطبعه أنه فقير فى العاطفة الشخصية ، غنىّ فى العاطفة الشعبية أى العاطفة التى تربط بين الفرد والجماهير

والعاطفة الشخصية هى التى تربى عادة المساجلة والمحادثة ، ومواجهة العقل للعقل ، والنفس للنفس ، والإصغاء فى موضع الإصغاء ، والإثبات بالحجة الصادعة فى موضع الإثبات

فالرجل المفطور على عاطفة يساجل بها العواطف ، وفكرة يقابل بها الأفكار ، يقول ويسمع ، ويستميل الفرد بالوسائل التى يستمال بها الأفراد ، مرة بالإيحاء ، ومرة بالدليل ، ومرة بالشرح المفهوم ؛ وفى كل مرة بتبادل الثقة والاعتراف بحق المناقشة والاعتراض

أما الرجل الذى نضبت نفسه من جانب العاطفة الفردية ، والذى ليس عنده ما يتبادل به مودة بمودة أو فهماً بفهم أو خاطراً

بخاطر ، والذى انقطعت جميع الوشائج بينه وبين إخوانه من أبناء آدم إلا الوشيجة التى تكون بين الواحد والألوف أو بين الداعية والجمهور — فذلك رجل محدود القدرة على التحدث والتفاهم وعلى الإصغاء والإقناع ، محتومٌ عليه أن يجد جمهوراً يستمع له ويكتفى منه بالاستماع ، أو أن يتخيل نفسه قائماً بين جمهور وإن كان فى مجلسه أفراد قليلون

لهذا اشتهر هتلر بالتدفق فى أحاديث السياسة ساعة بعد ساعة دون أن يقف أو يتمهل أو يسأم التكرار . فإن لم يتدفق فى أحاديث السياسة ، فهو بين حكاية نادرة ، أو إعادة ملحة مطروقة أو سرد تاريخ قديم ؛ فإن لم يكن هذا ولاذاك ، فليس فى مجلسه إلا السكوت والوجوم

فهتلر الفَـردُ « معدوم »

أما هتلر الوجود ، فهو البوق الذى ينفخ فى الجماهير أو يردد صدى الجماهير

وانظر إلى صوره وهو فى مواقف التفاهم والتحادث ترَ أمامك صوراً فاترة باهتة تنطق بالتكلف ونقص الحياة وتبعث فى نفس ناظرها الريبة والنفور

أما الصور التى يحيا فيها وتلبسه الحركة والشدة ، فهى الصور التى ينقطع فيها التفاهم ويثور فيها الغضب وتتأجج فيها البغضاء .

وماذا ترى فى هذه الصور ؟

إن الخطباء الحماسيين جميعاً ليغضبون ، وأنهم جميعاً ليحركون الغضب فى الجماهير

إلا أن الفرق بين غضب وغضب لفرق عظيم ، وإن الاختلاف بين حماسة وحماسة ليفوق الاختلاف بين القوة والمرض ، وبين الجلال والهوان

رأينا سعد زغلول وهو غاضب فى خطبه ، فرأينا غضباً كأنه السيف يصول به الفارس على قرنه ، ويعرف كيف يصول

ورأينا هتلر وهو غاضب فى خطبه ، فماذا رأينا ؟ رأينا غضباً كأنه الدمل المفتوح ينفّس عن ضغينة كامنة كأنها القيح المحبوس ، فهو فرصة للألم والتذاذ الألم فى وقت واحد ، وهو علاج للتنفيس عن داء ، وليس بالسيف فى أيدى الأقوياء

هو نوبة مصروع وليس بوثبة صارع

وهو منظر تزورُّ منه العيون ، وليس بمنظر تود العيون أن تمتلئَ منه

وهو رقصة الهمجى فى حومة الدم أمام أوثان النقمة والتشفى ، وليس برقصة الفارس فى حومة البرجاس

وقد جمعنا فى هذه الصفحات صوراً عدة لهتلر وهو يخطب ، أو وهو يغضب ، لأنه فى الحقيقة قلما يخطب إلا ليغضب . فأية صورة من تلك الصور يا ترى يستطيع القارئُ أن يكتب تحتها مثلاً : « هذه صورة هتلر يزأر أو يزمجر ؟ »

إن هــذا الكلام ليكتب تحت صور كثيرة لمصطفى كمال أو لسعد زغلول ، ولـكن هتلر — على عنايته بصوره واتخاذه رساماً خاصاً يتبعه فى جميع المحافل ويوزع فى أقطار العالم ألوف الصور بل عشرات الألوف منها — لا توجد له صورة واحدة تخيل إلى الناظر هيئة الأسد المزمجر أو الأسد الناضب ، وكلها بلا استثناء ممـا يصح أن يكتب القارئُ تحته : « هتلر يعوى » أو هتلر « يلطم » ... ولا جناح عليه

***

ومن المعقول أن رجلاً كهذا يحب حلقات الخطابة التى يتزين فيها لشياطين غروره وحقده كما تتزين المرأة المجنونة لشياطين الزار ، ويستريح فيها للهياج والتهييج كما تستريح تلك المرأة لصرعة الرقص وجلبة الطبل ورؤية الذبائح وهى تتخبط فى الدماء

ومن المعقول جداً أن يكره مواقف المفاوضة والتفاهم لأنها تطلعه على عجزه وتكشف له عن خواء طبعه ، وتخرجه منها وهو فى رأى نفسه أقل ممن حوله ... إلا أن يلجأ إلى التهديد بالحرب كما يفعل فى معظم أحاديثه ، فهو إذن فى موقف الإملاء وليس فى موقف المفاوضة والإقناع

وقد سجلت كلماته فى المفاوضات التى دارت بينه وبين سفراء الدول ورؤساء الحكومات ، فإذا هى عبرة العبر وأضحوكة الأضاحيك لا يكون فيها إلا ممثلاً يراوغ ، أو مهـدداً يتوعد ، أو منكراً لما يقال على طريقة الأطفال والنساء الجاهلات : إنى أنكر هذا لأنى أنكر هذا ، ولا مزيد ...

ناقشه مستر شامبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية فى الشروط التى فرضها على حكومة براغ، وأوجب عليها فيها أن تخلى الأرض المطلوبة وأن تبدأ الإخلاء فى الساعة الثامنة من صباح السادس والعشرين من شهر سبتمبر (١٩٣٨) وأن تتمه عند انتهاء اليوم الثامن والعشرين

فقال له مستر شامبرلن إن هذا إملاء «إنذار نهائى» بغير حرب، وبغير هزيمة على أمة قبلت المطالب وقبلت الاحتلال

واختار شامبرلن كلمة «إملاء» عمداً لأن هتلر يذكرها كثيرا ذكر معاهدات الصلح ومعاهدة فرساى على الخصوص، ويعتبرها موجباً لفسخ تلك المعاهدات

فما زاد هتلر على أن قال: «كلا. ليس هو إملاء». وأشار إلى رأس الورقة قائلاً: «أنظر ... إن الورقة مكتوب عليها كلمة مذكرة ...»

وهو كلام يقال للابسى القمصان فى ساحة الخطابة فيقبلونه ويسيغونه، ولكنه لا يقال فى مفاوضات وزراء وسفراء

فالخطابة هى الميدان الذى يغلب فيه هتلر بهذا الأسلوب، ولن يغلب به فى ميدان آخر

وقد حذق من الخطابة ما يُحذق بالمرانة ومساعدة السامعين المستعدين للإصغاء والتصديق وأهمه تدفق الكلام وسهولة التعبير

ولم تزوّده الطبيعة من أدوات الخطابة الفطرية إلا بزاد واحد وهو انقطاع الصلة النفسية بينه وبين الأفراد واضطراره من أجل ذلك إلى مواجهة الجماهير للشعور بالحياة ونشاط الإحساس.

ومتى نشطت نفسه ودبت الحركة إلى ذهنه فلا يندر أن يلهمه الموقف بعض الخواطر البارعة التى يمثل بها أعداءه فى صورة مزرية، أو صورة تستفز السخط والامتعاض، وكلها من ولائد الكراهية وليس فيها صورة واحدة وليدة عطف أو عناية بالآخرين

ويختلف الناقدون فى صوته اختلافاً لا يتبين الحقيقة فيه من يسمع الصوت منقولاً بالمذياع، وهو ينقل بعض الأصوات على أصلها ويعرض بعضها للتحريف وبعضها للتحسين

فمن الناقدين من يعيبون على صوته خشونة تصك الآذان، ويقولون إنه أجرى العملية الجراحية فى حنجرته لإصلاح هذا العيب

ومنهم من يعجب بما فى صوته من العمق ورنة التجويف، ويعده من أصلح الأصوات الخطابية لنقل الشعور الجارف والتهويل على السامعين

وسواء كان العيب الذى يعيبه أولئك الناقدون صحيحاً أو غير صحيح فالمهم فى صفات الأصوات أن تؤلف بالتكرار، وأن يكون لها طابع ولون معروف، وعندئذ قد يصبح العيب حلية مرغوباً فيها مع النجاح والتوفيق.

عباس محمود العقاد

من أدب الحرب

جبان يصف معركة

للأستاذ محمود الدسوقي

« هذه القصة تصوير صادق لما يعتلج فى نفس الجندى فى غمرة الحرب ، وما يقع في سمعه وتحت بصره من هول وكرب ، يفقدانه شجاعته أحيانا ، ويشحذان عزيمته أحيانا أخرى ؛ فاما أن يهرب كما فعل راوى هذه القصة ، وإما أن يؤدى واجب الوطن على الوجه الأكمل كما فعل رفاق له . وهذه الصورة بعض ما وقع فى أوائل حرب السنوات السبع التى شن غارتها فردريك الأكبر ملك بروسيا على ماريا تيريزا امبراطورة النمسا وحليفاتها فرنسا والروسيا والسويد وأسبانيا والريخ الألمانى فى سنة ١٧٥٦ ، وكانت سجالا في الغالب بينه وبين أعدائه »

قال البروسى الفار :

وأخيراً فى الثانى والعشرين من سبتمبر (١٧٥٦) أعلن النفير وتلقينا الأمر بالمسير ، فسرت الحركة فى كل شىء ، ونقض فى بضع دقائق معسكر واسع مترامى الأطراف كالمدينة العظيمة بجوبه فى ساعات . وشددنا الرحال وتأهبنا للمسير ، وصدر الأمر بالتقدم وانحدرنا إلى الوادى ، وأقمنا عند برنا[1] جسراً ، وشققنا فوق المدينة قبالة معسكر السكسونيين طريقاً ينتهى أحد طرفيه بباب برنا . وكان الكثيرون من أسرى السكسونيين يصعدون منه إلى الجبل متنزهين أربعة أربعة ، ويلقون على امتداد الطريق الطويل شتما وتعريضاً لاذعاً لا مفر لهم من سماعه . وكان بعضهم يقبل من تلك الناحية حزيناً مطرق الرأس ، وآخرون يقبلون عليهم سيماء التحدى والقسوة ، وفريق غير هؤلاء وأولئك تعلو وجوههم ابتسامة تأبى أن تترك للبروسيين الساخرين ديناً بلا سداد . فى ذلك اليوم قطعنا قطعة أخرى من الطريق وعسكرنا فى ليلينشتاين

وفى الثالث والعشرين كلف آلاينا بحماية عربات المؤن . وفى الرابع والعشرين قمنا بزحف مضاد ، وبلغنا ليلاً وفى الضباب مكاناً لا يعلمه إلا الله . وفى الخامس والعشرين استأنفنا المسير مبكرين وقطعنا إلى أوسيج أربعة أميال ، وهنا أقمنا إلى التاسع والعشرين نخرج كل يوم للاستطلاع ، وتهاجمنا غالباً فى أثناء القيام بهذه المهام جنود الامبراطورة ، أو يدهمنا من كمين وابل من الرصاص فيسقط غير واحد قتيلاً ، ويتخلف جرحى كثيرون . فإذا ما صوبت مدفعيتنا بضعة مدافع نحو الكامنين ولى العدو الأدبار . ولم تكن هذه المصادفات تخيفنى فسرعان ما ألفتها ، فكنت أقول لنفسى : إذا دام الأمر على هذا المنوال لا يكون علينا منه ضير يذكر . وفى الثلاثين عاودنا الزحف طيلة النهار فلم نصل إلا ليلاً إلى جبل لا يعرفه منا أحد ، ولا يدرى من أمره من هم على شاكلتى إلا ما يدرى الضرير . وتلقينا فى تلك الأثناء أمراً بألا نقيم هنا خياماً وألا نلقى بنادقنا ، بل نظل متأهبين على قدم وساق ، إذ كان العدو على مقربة منا . فلما أصبح الصباح رأينا وسمعنا أخيراً ما كان يجرى تحتنا فى الوادى من ومض وقصف شديدين . وفى تلك الليلة المزعجة فر كثيرون من الصفوف وفى جملة من فروا الأخ باخمان . ولم تكن الفرصة قد سنحت لى بعد ، وإن كنت إلى ذلك الحين لم يزايلنى الاطمئنان

واصطففنا فى الصباح الباكر لننحدر من واد صغير ضيق إلى الوادى الكبير ؛ ولم نكن نستطيع تمييز الأشياء من كثافة الضباب . فلما بلغنا السهل أخيراً وتقدمنا إلى الجيش الكبير كنا نزحف فى ثلاث كتائب . واستبنا من خلال الضباب المنتشر كالسحاب جنود العدو فى هضبة فوق مدينة لوبوسس فى بوهيميا وكانوا من فرسان الامبراطورة . أما مشاتها فلم تقع أعيننا عليهم إذ كانوا يرابطون فى المدينة . وفى الساعة السادسة قصفت المدافع من كتيبتنا الأمامية كما قصفت بطاريات الامبراطورة قصفاً بلغ من شدته أن كانت قنابلها تصل إلى آلانيا ، وكان فى الكتيبة الوسطى . وكنت إلى ذلك الحين أمنى النفس بالهرب ، فلما وقعت الواقعة عز على المهرب وانسدت فى وجهى المسالك جميعاً . وكنا نزحف فى تلك الأثناء بلا انقطاع ، فلم تلبث شجاعتى أن زايلتنى ، وكنت خليقاً أن أتسلل إلى بطن الأرض . ذلك أن خوفاً كالذى كان يتملكنى كان يخلع على وجهى شحوب الموت ، وكان يُقرأ على سائر الوجوه حتى وجوه أولئك الذين عهدتهم مرحين لا يبالون . وكانت قنانى الشراب الفارغة — ولكل جندى منها واحدة — تتطاير تحت وقع القنابل ، فإن أغلبنا كان قد أتى

---

(١) مدينة فى مقاطعة درسدن من أعمال سكسونيا

على آخر جرعة فى قنينته واستمد منها شجاعته فى ذلك اليوم ؛ أما النفد فقد لا تكون به حاجة إليها . وتقدمنا الآن إلى مرمى المدافع إذ كان علينا أن نتبادل الموقف وكتيبتنا الأمامية .

فيا هول ما شهدت ! كانت كتل الحديد تئز فوق رؤوسنا ، وتقع تارة أمامنا وتارة تنفذ إلى الأرض خلفنا ، فيتطاير اليابس والأخضر والكلأ والحجر ! وتدهمنا أحياناً فتمزق أجسامنا وتذرو أعضاءنا كما تذرو الهشيم الرياح . ولم نكن نبصر قدامنا إلا فرسان العدو تأتى بمختلف الحركات ، فتارة تستعرض وتارة تستدير ، وآناً تؤلف مثلثاً وآونة مربعاً تنتظم فيه . وتقدمت فرساننا أيضاً وكرت على العدو . فيا له من وابل من الضربات يسقط مقعقعاً ، ويعض خاطفاً ! ولم تمض ربع ساعة حتى ارتدت فرساننا مدحورة وقد هزمها النمسويون وتعقبوها حتى مرمى مدافعنا . وهذا مشهد ما أجدر المرء بأن يشهده ! خيول يعلق فرسانها فى الركاب ، وأخرى تجر أحشاءها على الأرض . وكنا فى تلك الأثناء ما نزال تحت نيران العدو حتى بلغت الساعة الحادية عشرة وجناحنا الأيسر لم يطلق رصاصة ، على حين كان الأيمن يخوض المعركة ويصلاها .

وظن الكثيرون أنه لا بد لنا من الهجوم حيث يرابط جند الأمبراطورة . ولم أكن إذ ذاك جزوعاً كما كنت من قبل ، وإن كانت عفاريت الجيشين لم تفتأ تقتل عن كثب والميدان مغطى بالقتلى والجرحى . وإذ ينتصف النهار أو يكاد صدر الأمر إلى آلايينا واثنين معه بالارتداد ، فقلنا لعله إلى المعسكر فنكفى القتال ! وصعدنا مرتفعات الكروم بخطى حثيثة ونفوس مستبشرة ، وملأنا قلانسنا من دوالى الكرم وأكلنا من أعنابها هنيئاً ، ولم يخطر لى ولمن هم إلى جانبى سوء على بال ، وإن كنا ما زلنا نرى من القمة إخواننا فى المعمعة تحت النار والدخان ، ونسمع قصفاً مرعباً فلا ندرى على التحقيق لمن كتب النصر . وكان قوادنا يقودوننا فى تلك الأثناء مصعّدين فى الجبل ، ممعنين فى التصعيد إلى قمة شُق فى صخرها ممر ضيق . فلما بلغت طليعتنا القمة سمعنا الرصاص يطلق إطلاقاً مرعباً . فحزرنا آنئذ جلية الخبر ، فإن بضعة آلاف من جنود الأمبراطورة قد كانوا تلقوا الأمر بالصعود إلى الجبل فى الجانب الآخر لينقضوا على جيشنا من خلف ، فاتصل الخبر بقوادنا فكان أن ارتددنا نحن لنسبقهم ونفسد تدبيرهم ، ولو قد تأخرنا بضع دقائق لبلغوا القمة قبلنا ولكنا من الخاسرين .

ونشبت مجزرة لا توصف قبل أن نتمكن من إقصاء البندوريين[1] عن الثنية . وتكبدت مقدمتنا خسائر فادحة وانقضت مؤخرتنا لنجدتها حتى تم لنا احتلال القمة . وكانت جثث القتلى وأجسام الجرحى تؤلف تلاً تحت أقدامنا نتعثر فيه . وسرنا فى أعقاب البندوريين نجليهم عن مرتفعات الكروم درجة درجة ونقفز خلفهم من صخرة إلى صخرة حتى بلغنا السهل . وأطبق البروسيون الأصليون والبراندنبرجيون على البندوريين كالجن ، وكنت أنا حين حمى الوطيس كمن به مس لا يجد الخوف أو الذعر إلى قلبى سبيلاً ، فأطلقت طلقاتى الستين فى شوط واحد ، حتى إذا أتيت عليها سخنت بندقيتى وباتت فى يدى كالجمر ؛ فذهبت أجرها من نطاقها ، وأحسبنى فى تلك الأثناء لم ألق إلى جانبى نفساً حية إذ كان الكل قد هرعوا إلى الهواء الطلق . واتخذ البندوريون مراكزهم ثانية فوق السهل قبالة لوبوستس على مقربة من الماء ، وجعلوا يطلقون بنادقهم مستبسلين على مرتفعات الكروم حتى عض غير واحد قدامى وإلى جانبى فى الكلأ . وكان البروسيون والبندوريون يختلط بعضهم ببعض فى كل مكان ، فمن وجد من الآخرين لا يزال يتحرك ضرب بالكرنافة على أم ناصيته أو طعن بالسنان . واستؤنف القتال بالسهل . ولكن أنى لامرىء أن يصف ماحدث والدخان والبخار يتصاعدان من لوبوستيس ، والهد والرعد يصمان الآذان ، والسماء والأرض تكادان تنطبقان !

أنى لامرىء أن يصف ذلك القرع المتواصل لمئات الطبول وذلك العزف الذى يمزق القلوب أو يشدد العزائم من موسيقى الميدان المختلفة الألوان ، وتلك الصيحات المنبعثة من كثير من القواد ، والزمجرة المرعدة من مساعديهم ، وتلك الاستغاثة وذلك الاستصراخ المتصاعدين من آلاف مؤلفة من ضحايا اليوم الأشقياء المدوسين بالأقدام أنصاف الموتى ! لقد كان هذا كله يذهل الحواس وكانت الساعة الثالثة ولوبوستيس تحت النيران وجنود مقدمتنا يطبقون على البندوريين كالأسود الكاسرة ، فيقفز مئات كثيرة منهم إلى الماء والمدينة نفسها مسرح للفتك والطعان . فى هذه

(١) فرقة فى جيش الأمبراطورة ماريا تيريزا كانت مؤلفة فى حرب السنوات السبع من المجر والدلماسيين والصرب .

اللحظة لم أكن بطبيعة الحال فى الطليعة ، بل كنت فى المؤخرة لا أزال على جبل الكروم ، بينا الكثيرون غيرى كما أسلفت القول يقفزون فى حمية من درجة فى الجبل إلى درجة يبادرون إلى نجدة الإخوان . وإذ كنت لا أزال فوق المرتفع أطل على السهل ، كما لو كنت أطلع فى جو حالك مرعد يتساقط فيه البرَدَ ، قلت لنفسى : هذا أوانك قد آن ؛ أو قال لى على الأصح الملك الذى كان يحرسنى : إركن إلى الفرار !

فتلفت من حولى فإذا كل شىء أمامى نار ودخان وبخار ، ومن خلفى جنود كثيرون ما زالون يهرعون للانقضاض على العدو ، وعن يمينى جيشان كبيران على أتم الأهبة للقتال ، وعن شمالى مرتفعات الكروم وأدغال وغابات ، وهنا وههنا بضعة من البروسيين والبندوريين والهوسار قد أربى قتلاهم على جرحاهم ، فقلت : هنا ! هنا ! فى هذا الجانب وإلا استحال الأمر علىّ

فتسللت يسرة أخافت أول الأمر فى مشيتى أخترق الدوالى . وكان بعض البروسيين لا زالون يمرون بى مسرعين ، فكانوا يقولون لى : عجل ! عجل ! أيها الأخ فالفوز لنا ! أما أنا فلم أحر جواباً بل تصنعت قليلاً أنى جريح ، وواصلت السير أرتعش من الخوف ما فى ذلك شك . وإذ أبتعد فى تلك الأثناء حتى لا قبل لأحد برؤيتى ضاعفت من خطوى وأمعنت فى سيرى وعززت فيه ، وأنا أتلفت يمنة ويسرة كالصياد . وتطلعت من بعيد لآخر مرة فى حياتى إلى حصاد الموت وحومة الفناء ؛ ثم أطلقت ساق للريح بجانب الغابة ، وكانت ملأى بقتلى الهوسار والبندوريين وجثث الخيل ، وعدوت عدواً سريعاً إلى النهر ، ووقفت عنده . فإذا بضعة من جند الامبراطورة المصابين الذين تسللوا مثلى من المعركة يصوبون إلىّ بنادقهم عند ما أبصرونى ويعاودون إلىّ التسديد مرتين أخريين غير عابئين يبندقيتى التى طرحتها ، وبقلنسوتى التى كنت ألوح بها وأشير الإشارة المألوفة . على أنهم لم يطلقوا النار ، فاعتزمت أن أعدو إليهم ولو لم أفعل لكانوا أحرياء بأن يطلقوا على النار كما علمت بعد ذلك . ولما جئتهم وقلت لهم إنى فار من الجيش ، أخذوا منى بندقيتى ، ووعدونى بأن يردوها إلى فيما بعد . . . لكن الذى استحوذ عليها لم يلبث أن اختفى بها على الأثر ؛ واقتادونى إلى القرية التالية وكانت تبعد ساعة كاملة من لوبوستس ؛ وكانت لنا فى خلال ذلك جولة فى الماء وليس من نقالة سوى زورق واحد ، وصراخ الرجال وعويل النساء والأطفال يرتفع كلاهما إلى أجواز الفضاء ، فكل يريد أن يعبر أولاً خوفاً من البروسيين ، وكلهم يتصورونهم جد قريبين ، أو لعلهم بثيابهم عالقون ، ولم أكن فى جملة المتأخرين بل قفزت إلى وسط زمرة من النساء ، ولولا أن الملاح قذف بالبعض إلى خارج الزورق لبتنا من المغرقين ، وكان فى الضفة الأخرى مخفر بندورى رئيسى قادنى إليه من رافقونى فتلقانى ذوو الشوارب الشقراء تلقياً حسناً ، وقدموا إلىّ التبغ والشراب على الرغم من عجزنا البادى عن التفاهم ، وأنفذوا معى صحبة إلى ليتميرتز فيما أظن ، حيث قضيت ليلى بين بضعة من أبناء بوهيميا ، وأنا غير آمن بينهم على رأسى . لكنه قد كان بلغ منى جهد النهار ومحنته مبلغاً دار منه رأسى فكانت هذه النقطة الهامة آخر ما فكرت فيه

وفى الصباح وكان الثانى من أكتوبر نقلت إلى بودين حيث مركز القيادة الأمبراطورية العامة . وهناك التقيت بمائتى بروسى كلهم هارب على طريقته ، وفى جملتهم صاحبى باخمان . ولشد ما ابتهجنا باللقاء على حين غفلة وفرحنا بالنجاة والحرية . وطفقنا نتحدث ونهلل كأننا بالبيت نصطلى ، ونذكر زيداً من الإخوان وعبيداً ، ونتساءل أين هما يا ترى ؟

وسمح لنا بالتجوال فى المعسكر ، ووقف الضباط والجنود حولنا زمراً يستزيدوننا من الحديث عن أشياء لا ندريها . وعرف بعضنا كيف يستميل مضيفه بالمداهنة واختراع مئات الأكاذيب عن البروسيين حطاً من قدرهم وتقليلاً من شأنهم

وكان بين جنود الأمبراطورة من هم على هـذه الشاكلة فيشاً وغلواً ، فزعم أقصرقزم فيهم أنه حمل أطول براندنبرجى على الفرار ، واقتادونى بعد ذلك إلى قرابة خمسين أسيراً من فرسان بروسيا فكان منظراً أليما ! فإن أحداً منهم لم يسلم من جرح أو بجل . وبعضهم قد تهشم وجهه كله ؛ وبعضهم قد أصيب فى رقبته أو أذنه أو كتفه أو فخذه . وقد كانوا جميعاً يتأوهون ويئنون . وكم حمد الله أولئك البائسون أن جنبنا هذا المصير مصيرهم ! وكم حمدنا نحن الله على ذلك وأثنينا عليه ! وقضينا الليل فى المعسكر ثم نقد كل منا « دوكات » لسفره ، ثم بعثوا بنا إلى قرية بوهيمية

في سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

حمد الأزهريون ، ومن يهمهم أن يسير هذا المعهد الجليل في الجادة المستقيمة ، للأستاذ الكريم الزيات أن يخصص لمسألة إصلاحه شيئاً غير قليل من عنايته ، وأن يوسع للكاتبين فيها جانباً من رسالته ، رجاء أن نصل آخر الشوط إلى تحديد الغاية وتمهيد الطريق وتعيين الوسيلة . ولكني — ويشاركني فيما أخافه كثيرون — أخشى أن يلتوي علينا الأمر ، وأن ننحرف عن الطريق ، فيختلط علينا الرأي ، ويفوت الغرض ، وننتهي وقد صرنا أكثر مما نحن شيعاً وأحزاباً .

لهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمة الأخيرة وأنصرف بعدها إلى غير ذلك من شئون

إنما ينجح الطبيب إذا صدق مريضه القول ومحض له الرأي وصارحه بدائه على جليته . وإنما ينتفع المريض متى وثق بطبيبه ، وأيقن بمرضه ، ووقف على خطورته ، وأحس بحاجته للعلاج . لهذا كان واجب الطبيب أن يسائل المريض بالداء وأن يباديه به ؛ لكن في لين لا تدعو لليأس ، ولهجة لا تميت الأمل ، حتى لا يكون كمن ينفض يديه من مدنف صار في الاحتضار

من أجل ذلك كان لا بد في رأيي لمن يدعو للإصلاح من أن يتأتى له ويلتمس له الوسائل ويستكثر له الأعوان ، وألا ينفر أحداً ممن إليهم يساق الحديث ويطلب الخير . ذلك أقرب إلى أن تصادف الدعوة قبولاً ، والكلام سميعاً ، وأعون على بلوغ الأرب واهدى لنيل الوطر . على أن الألم للمرض قد يكون بالغاً ، وفورة النفس قد تكون قوية ، فيند القلم أحياناً ويشتط أحياناً ، وهنا نلتمس للداعي سبيل العذر من خلوص النية ونبل القصد ، مادام لا يجعل دعوته ذريعة إلى حاجة وسبيلاً إلى مراد

ومهما يكن فلست ممن يرضون أن تتكشف المعركة القائمة الآن عن بضع مقالات لا تعدو أن تكون كصرخة الدهان وركضة الفرس ، أو مهلة النفس وحسو الطائر . أرجو أن ننتهي منها وقد وضحت الغاية ، وارتسمت الخطة ، واتحدت القلوب والعزائم ، وتواصى الجميع على ما فيه الخير للمعهد الذي نشرف بالانتساب له ، وتوحدت الجهود للسير للأمام عملياً . ولعل من أجدى أسباب الإصلاح التي يجب أن نبدأ بها فيما أرى أن يكون — كما قلت في كلمة سابقة — وكذا الواحد منا قبل كل شيء تكميل نفسه في خلقه وعلمه حتى يصير مثلاً عالياً لطلابه ؛ يلهب عواطفهم ويسدد خطاهم ، ويشركهم في خير ما يقرأ ويدفعهم للمطالعة والبحث والاتصال بالحياة العلمية الجادة التي لا تحد بالكتاب المقرر والمنهاج المرسوم ! بذلك يوجههم وجهة الخير في غير عناء ويحتذونه في غير تعمل . ثم يضيف لهذا أن يتآزر مع نفر ممن يقاسمونه الآلام والآمال فيكونوا جبهة تعمل في غير مال أو إعلان لبعث مجد الإسلام العلمي وما طواه الزمن من مؤلفات العلماء الأعلام في القرون الأولى قبل تغلب العجمة وانغلاق التعابير .

وقبل هذا وذاك يكون رجلاً لا سلطان عليه لغير ضميره ، ولا سبيل للحزبية والهوى فيما يأخذ ويدع ، لا يجامل على حساب المصلحة العامة ، ولا يتحزب مع وضوح الحق . بذلك نجد الإصلاح المرجو يسير الملتمس داني التناول .

وقديماً قالوا : من برى القوس رمى ، ومن قدح النار اصطلى . وإلا إن كان قصارانا ثورة صحفية من فترة لأخرى دون أخذ بالعمل

حيث غفونا قليلاً ؛ ثم رحلنا إلى « براغ » في اليوم التالي . وهنا توزعنا وتزودنا بالجوازات كل ستة أو عشرة أو اثني عشر معاً ما داموا يتبعون طريقاً واحداً . وكنا خليطاً عجيباً من السويسريين والشوابيين والسكسونيين والبفاريين وأبناء التيرول والويلش والفرنسيين والبولاكيين والأتراك . وكانت براغ ترتعد خوفاً من البروسيين ويستولي عليها رعب لا مثيل له . وكان أهلها قد علموا بنتيجة معركة لوبوستس وأيقنوا أن الظافر لا بد أن يكون على الأبواب . وهناك أيضاً أحاطت بنا زمر الجنود والأهالي لنقص عليهم ما ينتويه البروسيون ؛ فكان بعضنا يطمئن تلك الأرانب الجازعة ، وبعضنا يجد مسرته في إرعابهم وفي القول بأن العدو قريب المزار وأنه محنق كالشيطان .

محمود الدسوقي

النتج تمذر علينا الإصلاح وتأبى مقتربه واعتاص ذلوله

بقيت كلمة ويتم الحديث ؛ هي ملاحظة صغيرة على الإشارة التي جاءت في « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » إلى معهد الدراسات الإسلامية . إن هذه الإشارة تفهم أن هذا المعهد يزاحم الأزهر في بعض ما نصب له نفسه من مهام ، وأظن أن هذا ليس من الحق في شيء ؛ فهو على ما عرفت ـ من طول ترددي عليه وانتفاعي به انتفاعاً كبير الأثر ـ قسم من مكتبة الجامعة العامة ، جمت فيه المؤلفات الخاصة بالعلوم والدراسات الإسلامية بوجه عام ، سواء أكانت باللغة العربية أم بغيرها . يرى الزائر له إذا أراد أن يبحث فيلسوفاً ، كالفارابي مثلاً ، مؤلفاته المطبوعة بمصر وغير مصر ، وقدراً كبيراً صالحاً مما كتب عنه بالعربية أو غيرها من اللغات . ذلك ما يزيد على أربعين مجلداً لجماعة من المستشرقين الفرنسيين ، فيها تعريف واسع بالمخطوطات الإسلامية الموجودة بمكتبة باريس العامة ، وعرض لبعض نصوصها ، وإلى فهارس المطبوعات والمخطوطات الإسلامية الموجودة بالمكتبات العامة بمصر وأوربا ، إلى كل هذا وما إليه منظم موضوع على حبل الذراع لمن يريد ؛ حتى إن الباحث وهو جالس إلى إحدى المناضد في بهوه الرحب ، بين تلك الذخائر العلمية الإسلامية يشعر أنه لا يكاد ينقصه شيء في سبيل الوصول لما يريد من بحث وتحقيق

أين هذا من مكتبة الأزهر التي لم أستطع ولا يستطيع غيري أن ينتفع بشيء منها ما دامت على ما هي عليه من ضيق مكان ، ونقص موظفين ، وإهمال وعدم رعاية !

وكيف يعاب ذلك العمل الجليل ، وينظر إليه النظر الشزر ، على غير معرفة به ، بدل أن نشكر من كان له الفضل في إنشائه !

أقول هذا عن علم ؛ لأني لا أعلم أن أحداً من الأزهريين — حتى شباب المدرسين — تردد على هذا المعهد للانتفاع به ، رغم دعوتي له وبثي عليه ، إجابة لرغبة حضرات الموظفين الثقات القائمين بشئونه .

لو أن إخواننا الذين اشتركوا في صياغة « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » عنوا بالتعرف إلى ذلك المعهد الذي يؤدي الآن خدمة لا يؤديها غيره ، لما أشاروا إليه إشارة من يحب ويكره عن غير علم . ولعل منهم من كان ولا يزال في أشد الحاجة له لتحضير ما يطلب منهم من بحوث ومحاضرات علمية في الامتحانات !

* * *

وبعد فلعلي وفقت بعض الشيء فيما نحن بسبيله ، والله المستعان .

محمد يوسف موسى
مدرس بكلية أصول الدين

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

مفاجأة . . . ولكن

كانت أبرز حوادث الأسبوع الماضي حادثة تسليم الجيش البلجيكي بأمر مليكه. وكانت الحادثة مفاجأة لم يتوقعها العالم، بل لم تدر قيادة جيوش فرنسا وانجلترا من أمرها شيئاً. فهي مفاجأة لم يقل وقعها على نفوس القراء من المفاجآت المتلاحقة. واختلف الناس في تقديرها، فمن قائل إنها نوبة يأس استولت على الملك ليوبولد في ساعة فزع واضطراب أعصاب، ولا سيما بعد ما والى الجيش الألماني هجومه في الليل، فلم يخلد إلى الراحة كالمعتاد. ومن قائل إنها خيانة صريحة ارتكبها الملك بالاتفاق مع الألمان. ومن فريق ثالث يقول: كانت خطوة متوقعة سار فيها الملك ليوبولد الثالث على مثال قرار قيادة الجيش الهولندي عندما أمرت جيوشها بوضع السلاح

وليس لنا أن نقرر الدوافع لهذه الخطوة، فعلمها كما قال المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية عند الملك وحده، ولا يجدر بنا الحكم على فعلته الآن، ولكن هذه الخطوة تربنا ظاهرتين مختلفتين في أخلاق شعبين عظيمين. فبينما الشعب الفرنسي يقابلها بحرارة وغضب ظهرا في حديث المسيو رينو، قابلها الشعب البريطاني ببرود وثبات ظهرا في حديث رئيس الوزارة البريطانية

والبرود والثبات في قيادة الجيوش من أكبر وسائل تحقيق النصر، فهما خلتان كبيرتان للاحتفاظ بالعقل والمنطق. وأذكر أن الجنرال فرانش قائد الجيوش البريطانية في فرنسا سنة ١٩١٤ لم يجد كلمة يمدح بها أحد قواده في أحد المعارك أبلغ من أنه كان مثال البرود والسكينة في تلقي الأنباء وإصدار الأوامر

بين تسليمين

ويختلف موقف تسليم الجيوش البلجيكية الآن عن تسليم الجيوش الهولندية اختلافاً بيناً. فقد كان الجيش الهولندي يقاتل وحده ولا تحتل معه قوات الحلفاء مواقع تشد أزره أو يشد أزرها. ولم تكن المعركة حامية لم يتقرر مصيرها بعد كما هي الحال مع جيوش الحلفاء في الشمال. ولم يكن قرار هولندا لا يؤثر إلا على موقف جيوشها وحدها، وهذا أمر لهم وحدهم حق تقريره. بينما انسحاب القوات البلجيكية من مواقعها قد أخلى ثغرات واسعة في صفوف القوات المتحالفة

فإذا عرفنا أن من تقاليد الجيوش البريطانية والفرنسية ألا تلقي السلاح تبين لنا مقدار الخطأ الفادح الذي جره إلقاء الجيش البلجيكي لسلاحه. وإذا كان ثمة خطأ يسند إلى الملك ليوبولد، فلأنه لم ينذر قيادة الحلفاء بالخطوة التي اعتزمها لتتخذ من التدابير ما يرأب الصدع الذي يحدثه انسحاب قواته

بين المساء والصباح

أضف إلى ذلك ما وافتنا به تلغرافات صباح يوم الثلاثاء من أنباء تهلل لها وجه الناس بالبشر والأمل، فقد وصلت جيوش الحلفاء إلى باوم، وهي تقع في منتصف النتوء الألماني بين حوض نهر السوم ومدينة أراس. ومعنى هذا أن جيوش الحلفاء تمكنت من الضغط على رقبة النتوء الألماني الممتد من هذا المكان إلى سواحل البحر. ولو تيسر لها أن تصل خطوطها بين جيشي الشمال والجنوب من هذه الناحية لسهل عليها أن تحصر هذه القوات وتعزلها عن قواعد تموينها، وبالتالي تقضي عليها قضاء مبرماً

وذهب بعض الناس إلى أن هذه الخطوة معناها انتصار الحلفاء وبدء الخاتمة. فقد سحبت ألمانيا كثيراً من قواتها من خط سيجفريد ومن على الحدود السويسرية لتعزز أماكنها كما أيدت مواقعها بقوات ميكانيكية هائلة هي في الواقع صفوة القوات الألمانية التي أعدت للمواقع الخطيرة الحاسمة. ويدلنا هذا على أن احتياطي القوات المتحاربة قد نفد فاعتمدت على قوات رئيسية

وقد رأيت كثيراً من الناس يضمون دبابيس كبيرة في هذا الموضع ويضغطونها بشدة على خرطهم كأنها مسامير توضع في نعش الجيش الألماني، ثم يوصلونها بمواقع الحلفاء بخيوط خضراء رمزاً للسلام يسود العالم. ولكن ما كادت تلغرافات الصباح تصل بنبأ تسليم الجيش البلجيكي حتى وجم محررو الجرائد، ووقفوا أمام خرطهم مترددين أين يضمون دبابيسهم، وكيف يفهمون الموقف على ضوء الحوادث الأخيرة

وأنعش خطاب المستر تشرشل وتصريحات وزراء بلجيكا كثيراً من الأفئدة فعادت لها ثقتها بالنصر. وإن كان كثيرون قد قدروا أن يطول أمد الحرب. بل قال بعضهم إنه خير يأتي

من الشر ، فتتركز قوات الحلفاء فى فرنسا ويستقر القتال فى ميدان واحد بدل تشعبه فى عدة ميادين ، وتقل خطوط مواصلات الحلفاء ، وتعود الحرب إلى جبهة واحدة بدل جبهتين فقد كانت بلجيكا عبئاً على الحلفاء

سياستهم

وإذا قارنا بين الحرب الحالية والحرب الماضية وجدنا وجوه الشبه فى أسسها واحدة . فألمانيا تبدأ الحرب بقوة هائلة تضعف على مر الأيام تبعاً لقلة مواردها واستعدادها ، بينما يبدأ الحلفاء حربهم بقوات قليلة تكبر كلما طال بها الأمد . فخلف انجلترا وفرنسا امبراطوريتان واسعتان تقدمان لهما الإمداد الذى تصقله الأيام وتزيد إنتاجه

فقد بدأت ألمانيا استعدادها لهذه الحرب منذ تولى هتلر الحكم سنة ١٩٣٣ . فأخضع جميع موارد ألمانيا لهذه اللحظة . بينما بدأ الحلفاء استعدادهم من سنة ١٩٣٨ . واتخذت الخطوات الحاسمة لهذا الاستعداد فى الأسبوع الماضى عند ما وضعت الأفراد والمصالح رهن الاستعداد العسكرى . ولعل البعض يرى فى هذه الحركة تمهلاً من الحلفاء . إلا أن من يدرس مشروعاتهم واستعدادهم وسياستهم لرفاهية شعوبهم يقدر خطورة هذه الخطوة الأخيرة ومدى ما تدره على الأداة الحربية من تحسين

فالحلفاء يضعون خططهم ويعدونها لوقت الحاجة حتى إذا احتاج إليها الأمر نفذت فى الحال . ولو عدنا بالذاكرة إلى بدء اشتعال الحرب ، وشاهدنا ما فعله الحلفاء فى تنظيم وزارة الحرب الاقتصادية عند ما نفذ الحصر البحرى رأينا مدى دقتهم فى وضع مشروعاتهم

ففى ٢٤ ساعة كان الحصر البحرى على ألمانيا نافذاً ، وفى ٢٤ ساعة تقدم ممثلو انجلترا السياسيين إلى الدول المحايدة بقوائم تبين حاجة كل منهم من الخامات المسموح لها بالمرور من الحصر البحرى والتى لا تترك لهم فائضاً يمكن لألمانيا أن تعتمد عليه . لو رجعنا إلى هذه الحوادث استطعنا أن ندرك كيف يسير المشروع الجديد وكيف يدعم إعداد الحلفاء العسكرى

كيف نساعدهم

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا السبيل الولايات المتحدة وما تمده لتموين الحلفاء . فإن الخطوات التى اتخذت حتى الآن لا تتجاوز أن تكون مناشلة لإقرار مبدأ المساعدة وعلى أية صورة يكون . وقد ينتهى بدخولهم الحرب بقوات حربية ، وليس بعتاد حربى فقط . وهى لم تقدم إلى الحلفاء مساعدة جدية حتى الآن بل أن مصانعها تستعد لمواجهة الحالة ، ولم يتعد إمدادها عدداً قليلاً من الطائرات . ومن يعرف براعة الأمريكيين فى تنظيم أعمالهم ، وتشغيل مصانعهم لإنتاج كميات وفيرة ، يدرك مدى السيل الذى يصل إلى الحلفاء كل فترة قصيرة

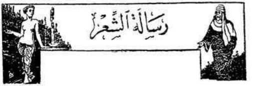
والغالب أن يستقر الموقف الحالى فى البلجيك على شيئين : فإما أن ينسحب الحلفاء ويخلوا البلجيك وينقلوا قواتهم إلى فرنسا عن طريق البحر ، وإما أن يستقروا فى هذا الميدان بعد أن يمدوا قواتهم هناك بقوات جديدة على أن تكون صلاتهم عن طريق البحر . وأعتقد من سير الأمور حتى كتابة هذه السطور أن الحلفاء ينسحبون من بلجيكا ويحولون ضرباتهم من فرنسا حيث أعدوا خطوط قتال قوية تسهل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم إلى أن تتحطم ألمانيا اقتصاديًّا أو عسكريًّا

الخطوة التالية

أما فى الميدان الجنوبى فإن جنود الحلفاء فى حالة حسنة وفى موقف عسكرى قوى يعملون على تطهيره من القوات المادية . ولا يمكننا أن نجزم بخطوة ألمانيا التالية بعد استقرارها فى الميدان الشمالى فى البلجيك : هل تهاجم الجبهة الفرنسوية الشمالية الممتدة على نهر السوم إلى لونجوى ؟ أم تهاجم فرنسا باختراق حدود سويسرا ؟ أم تتجه اتجاهاً آخر للاستيلاء على موارد جديدة بالهجوم على البلقان ؟

فالواضح من الاستقرار الأخير فى جبهة فرنسا الشمالية أن قتالها يطول وهذا ما لا تحتمله الموارد الألمانية . فإذا هاجت فرنسا باختراق سويسرا عن طريق مقاطعة بازل فلا ينتظر أن تصيب فيها من التقدم ما أصابته فى بلجيكا ، لأن الحلفاء لن يلدغوا من جحر مرتين . أما فى البلقان فقد أعلنت الروسيا حرصها على الاحتفاظ بالحالة الراهنة هناك وإلا فإنها تحارب المعتدى . ولهذا فينتظر أن نرى فترة هدوء ونضال سياسى لتحويلها عن رأيها ، وإن كنت أعتقد أنه ليس من مصلحة ألمانيا أن تشتبك فى جبهتين كما قلت فى مقالى السابق .

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة



أنت وأنا ...

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إما رأيتِ الليلةَ الحالكة   تجلو دجاها البرقةُ الساطعة
والطفلةَ المُشْرِقَةَ الضاحكة   تُحزِنُها لُعْبتُها الضائعة
فإنني الليلة يا بَرقتي
وإنني الطفلةُ يا لُعبتي
يا فرحتي أنتِ ويا دمعتي !

إن تجدى الناسكَ في دَيْرِهِ   تهزُّهُ نغمةُ أُرْغُنِّهِ
والفاجرَ العِرْبيدَ في سُكْرِهِ   تُرْعِشُهُ النَّظْرَةُ مِنْ دَنِّهِ
فإنني الناسكُ يا نغمتي
وإنني السكرانُ يا خمرتي
يا سقرى أنتِ ويا جَنّتي !

إما رأيتِ الشاعرَ السادرا   يقدسُ الحسنَ على سُبْحَتِهْ
والأهوجَ المضطرمَ الفائرا   تُهَيِّجُ الأجسادُ من نَهْمَتِهْ
فإنني الشاعرُ يا سبحتي
وإنني الأهوجُ يا نهمتي
يا جسدي أنتِ ويا فكرتي !

... ...

إن تجدى المبتهلَ المؤمنا   يصبو إلى (الحوريّة) الطاهره
والماجنَ المُسْتَهْتِرَ الأرعنا   يستعذبُ السمَّ من العاهره
فإنني المبتهلُ المؤمنُ
وإنني المستهتر الأرعنُ
دَليلتي[1] أنتِ وحوريّتي !

(باريس)   أمجد الطرابلسي

(١) دليلة صاحبة شمشون

وهفا قلبي إليك

للشاعرة الفلسطينية الآنسة « دنانير »

لحتَ في أفق حياتي المظلمِ   لمحةً من نور
بدَّدتْ آونةً يا ملهمي   ذلك الديجورْ
وهفا قلبي إليكْ
شيّقاً يحنو عليك
يرتجي الزلفَى لديك
لا تخيبْ يا حبيبي ما رجاه   قلبيَ المفتونْ
لا ، ولا ترجعْه من دنيا هواه   رجعة المغبون

* * *

يا خليًّا من عذابي شدَّ ما   كنت شغلي
ليتني سؤلك أصبحتُ كما   أنت سؤلي
حرتُ مما أنت فيه
بين إقبال وتيه
آه يا من أرتجيه
كل همي منك ، حتام أراكْ   غافلاً عني ؟
وبقلبي من تباريح هواكْ   علةٌ تضني

* * *

أيها المرسل لي في وحشتي   مؤنساً قلبي
هجتَ لي الحبَّ ، فكانت سلوتي   نعمة الحب
أنت دنيا من فنون
تملأ الدنيا فتون
كيف لا تسبي العيون
هاك قلبي ، لا تدعْه يا مناه   هائماً حائر
راعِهِ ، لا يهوِ من عليا سماه   إنه شاعر

(فلسطين)   « دنانير »

من اللهب !

للأديب عبد العليم عيسى

بكيت فلامونى... وماحيلتى إذا بكيت وفى قلبى شجونى وآلامى
علام تلومون الجريح على البكا أما كان أحرى أن تلوموا يد الرامى
نشأتُ فلم أنعم بصدر يضمنى إليه... فضمتنى جروحى وأسقامى
كأنىَ لم أخلقْ لنعماىَ إنما خلقتُ لأحيا باكيًا طول أيامى
حياتِىَ إعصارٌ عنيف وضجة وعصف من البلوى يعكر أحلامى
هنا فى فؤادى صرخة كم حبستُها هنا فى طريقى يعزِفُ الهول قدامى
تجمعت الأخطارُ حولى... تخلتُها من الرعب جنًا عاصفًا تحت أقدامي
أنا الشاعرُ الشادى أغاريدَ حزنه ومن حزنى المشبوب نبعى وإلهامى
أسيتُ على قلبى فكم عقد الأسى به مأتمًا يُذكى هوانى وإيلامى
كتمتُ الذى عندى فلستُ بصارخ وأين الذى يحنو على قلبىَ الظامى ؟
طربتم لأنغام الصفاء فما الذى يضيركمُ لو تطربون لأنغامى !
أنا راقصٌ فى عرسكمْ غير أننى غريبٌ بعيدٌ عن صفائى وإنعامى
ألا حينُ عودى باكيات على المدَى فلن تسمعوا منى سوى لحنىَ الدامي

(دمياط) عبد العليم عيسى

عبادة الأصنام

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

أيُّها المُخْلِصُ العِبَادَةَ لِلصَّخْـ ـرِ تَحَصَّنْ مِنْ مَوْجَةِ الإلْحَادِ !
فَقَـدًا تَفْقِدُ الشُّعورَ وَتَحْيَا كَجَمَادٍ مُسَخَّرٍ لِجَمَـادِ
صَنَمٌ صامِتٌ من الحَجَرِ الصَّلْـ ـدِ لَخَيْرٌ من نَاطِقٍ بالفسادِ
إنْ تَكُنْ نَائماً عَلَى ظُلَمِ الجَهْـ ـلِ رَضِيًّا بِعِيشَةِ الزُّهَّادِ
فأنَا نَائِمٌ عَلَى كَتِفِ النُّو رِ وَلـكِنْ بِظُلْمَةٍ فى الفُؤادِ
صَنَمِى يقتلُ العَقِيدةَ وَالفِـكْـ ـرَ وَيُحْيِي عِبَادَةَ الأجسادِ
إنْ تَكُنْ مُطْلَقَ العَقِيدةِ يا صا حِ فإنِّى مُقَيَّدٌ فى اعْتِقادِي
مَلْجَإِى السِّجْنُ إنْ دَعَوْتُ إلى الحَـقِّ مَسُوقًا فى مَوْكِبِ الأصْفادِ
الوشاياتُ والدسائسُ والرُّعْـ ـبُ سِلَاحٌ فى وَجْهِ كُلِّ انتقادِ
وَهُبوطُ الأحْرَارِ مِنْ مِنْبَرِ الحَـقِّ صُعُودٌ لِمِنْبَرِ الجَلَّادِ
لَيْسَ إيمانُنَا عَقِيدَةَ تَفْكِيـ ـرٍ ، وَلـكِنَّهُ هَوَى اسْتِبْدَادِ
شُعْلَةُ النَّارِ فى يَدَىَّ قَرَابِيـ ـنُ لِفَرْدٍ مُسْتَهْزِئٍ بالسَّوَادِ
وَصَلَاتِى لهُ دُعَاءٌ إلى الحَرْ بِ وَإشْعَالُ نَارِهَا فى البِلَادِ
وَانتهَاكٌ لِحُرْمَةِ الجارِ إشْبَا عَ نَهِيمٍ لِشَهْوَةِ اسْتِعْبَادِ
أزْرَعُ الشَّرَّ حَيْثُمَا سِرْتُ تُجْنَى مِنْ ثَرَاهُ طَوَالِعُ الأحْقادِ
وَغَدِي مُبْهَمٌ وَرِجْلِىَ تَنْقَا دُ إلى حَيْثُ مَصْرَعِ الأحْفادِ
التَّمَاثِيلُ وَالبُطولَةُ وَالمَجْدُ دَعَاوَى مَوْصُولَةُ الإنشادِ
نَغَمٌ يَسْحَرُ الضَّحَايَا فَتَنْسَا قُ إلى المَوْتِ جائعاتٍ صَوَادِى
وَالجَمَاهِيرُ كالحَمِيرِ مَطايا للزَّعاماتِ لَيِّنَاتُ القِيادِ . . .

حسن كامل الصيرفى

من وحى الربيع الأحمر

قوس قــــزح . . .

للأديب حسن أحمد با كثير

أى جسرٍ صيغ من ذوب الضياء يعبر الزرقاء من أفقٍ لأفقِ
عبقرى الحسن سحرى الرواء مشرق يستأسر الطرف برفق
أصراطٌ مُدّ فى عرض السماء لعبور الجن فى غرب وشرق
أم مجازٌ يرتقيه الأتقياء نحو كونٍ خلف هذا الكون صدق

أى حسن فاتنٍ عذب بنوره
أى سحر عبقرى فى سفوره
ليتنا نحظى جميعاً بعبوره
نحو كون حالم خلف ستوره
وارف الظل بهيج بزهوره
نقطع العمر به فوق قصوره

رسالة الفن

بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

١٠ — من الصحافيين

عبد القادر حمزة باشا

كان للحركة الوطنية فى مصر لسان وقلم ، أما اللسان فكان لسعد زغلول ، وأما القلم فكان فى يد عبد القادر حمزة . وقد قضى صاحب اللسان ، وظل صاحب القلم يكتب ، ولكن ظهرت عليه نوازع جديدة أخذت تتزايد وتتزايد حتى أصبحت أوجه الشبه بين آثار هذا القلم اليوم وبين آثاره فى البدء قليلة وغامضة ... ذلك أن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا جنح إلى العقل والمنطق جنوحاً كاد يقطع الصلة بينه وبين الجمهور الذى رباه هو ، والذى فتح هو عيونه على الحقائق

طار الأستاذ عبد القادر باشا عن مستوى الصحافيين السياسيين وتحكمت فيه استقامة الفكر والأمانة عليه، حتى هان عنده الرواج الشعبى فلم يعد يجرى وراء القراء ، وآثر أن يوجه القول لمن يريد أن يسمع وأن يفهم ؛ وقد تجلت التجربة على أنه يقول ما يجب أن يسمع وأن يفهم . فقد كان هو أول من نادى بوجوب تأليف الوزارة القومية منذ المناوشات الأولى فى الحرب الحبشية ، فأنكرت البلد رأيه حتى ألفت الجبهة الوطنية بعد أن تحولت المناوشات الحبشية إلى حرب ضروس ؛ وحين لم تجد مصر وانجلترا بداً من تنفيذ فكرته هو ، أو الفكرة التى آمن بها وتحمس لها وانفرد زمناً بالدعوة إليها .

الأستاذ طاهر الطناحى

العمود الفقرى فى دار الهلال . رباه على الصحافة الأستاذ إميل بك زيدان ، فأنشأه أعجوبة بين الصحافيين . الجمهور لا يعرفه كثيراً لأنه لا يوقع المقالات إلا قليلاً ؛ وذاك إذا كتب ، فليس عمله أن يكتب ، وإنما عمله أن يستكتب أولئك الأفذاذ الذين تطالع دار الهلال قراءها بنفثات أقلامهم ، ومن هؤلاء يكون ملوك فى بعض الأحايين ، وهذه مهمة خطيرة

زد على ذلك أنه يجمع أعصى المعلومات والبيانات والإحصاءات والصور التى أتقنت دار الهلال فتنة الجمهور بها

للأستاذ طاهر الطناحى هذا المجهود الجبار وينافسه فى دار الهلال زميل له هو الأستاذ يوسف أنكونا من غير أن يبذل مجهوداً جباراً ، ولكنه يعطى الدار أفكاراً ، فهو متخصص فى البحث عن أسباب رواج المجلات يستقصيها ويوفرها فى مجلة « الاثنين » التى يدير تحريرها ، فله فى هذا الأسبوع «يانصيب»، وفى الأسبوع المقبل «مسابقة» ، وفى تاليه حملة مصورة منظمة على موطن من مواطن الضعف فى الحياة المصرية ، وفى الأسبوع الرابع عدد خاص بمسألة من المسائل التى تشغل بال الجمهور ، وفى الأسبوع الخامس هدية رائعة ، وفى الأسبوع السادس صور تؤخذ للجمهور من قراء المجلة وهى فى أيديهم فمن وجد صورته له جائزة ، وفى الأسبوع السابع باب يفتح فى المجلة يتوسط للقراء فى الحكومة ، ويوظفهم إذا استطاع . . .

نرشف الأفراح من صفو نميره
ونصيب الأنس فى حسو خموره
ونرى النشـــوة فى لثم ثغوره
إن هذا الكون ضقنا بشروره
وزهقنا من أباطيل أموره
وســئمنا وبرمنـــا بغروره
وطوى أحلامنا جور نسوره
وكوى أحشاءنا بطش نمـــوره
وشجى أكبادنا مرأى قبوره
خلّنا يا جَسر نحظى بعبورك   نحو كون ساطع خلف ستورك
يُذهب الآلام والآثام عنا والشرور

حسين أحمد باكثير

أعجوبة هو أيضاً هذا الصحافي الذي لا يعرفه الجمهور . وهو شاب وعمله الأول المحاماة في المختلط ، ولست أدري كيف غاب هذا الصحافي الناجح هو وزميله عن ذهن الذين اختاروا المدرسين لمعهد الصحافة !

الأستاذ كريم ثابت

أول من اخترع لنا حكاية أن هذا الوزير يستيقظ في السادسة صباحاً ويفطر فولاً وبيضاً مسلوقاً ، ويدخن سبعاً وثلاثين سيجارة في اليوم ، وأنه يفضل السترة أم صفين من الأزرار على أم الصف الواحد ، وأن عنده قطة اسمها فلة يتفاهم معها بالعربية والفرنسية ، وأنه يسقي ضيوفه كراوية ولا يقدم القهوة إلا لمن يطلبها ، وأنه لا يقرأ إلا إذا جلس فاتكاً بذراعه اليسرى على المسند ووضع رجله اليسرى على رجله اليمنى ، وأنه إذا نام أغمض عينيه ، وإذا تكلم حرك لسانه ، وإذا مشى هز ذراعيه ...

الأستاذ عبد المنعم حسن

لا بد أن يصل بإذن الله إلى ما يصبو إليه من مجد صحافي . فهو يقفز من أوربا إلى أفريقية إلى آسيا بحثاً عن تحقيقات يسوقها لقرائه في أحرج الظروف وأسوأ الأحوال . وهذه جهود لا يقوم من الصحافيين المصريين إلا هو والأستاذ محمود أبو الفتح ، ولا أذكر غيرهما

الأستاذ مصطفى أمين

من أسهل الكتاب المصريين هضما ؛ وعلى هذه الميزة فيه فهو يأبى إلا أن يكون مخبراً يغذي فضول القراء بينما هو يستطيع ما لا يستطيعه المخبرون من الترويح عن القراء وإمتاعهم . المادة تغريه ، ولكني أرجو أن يغريه بالتخصص في الكتابة مغر آخر ذو تأثير ينقذه ...

١١ — من المقرئين

الأستاذ محمود صبح

إذا قرأ القرآن مثل معانيه على قدر طاقته بالإلقاء والتنغيم . ولولا أن لكنة تركية تدركه أحياناً لشدة تأثره بالذوق التركي في الموسيقى لما كان في قراءته عيب ، وهو حساس مرهف الأعصاب . متدفق سيال النفس ينفذ إلى سامعه ويجرفه معه ولكن عقله ملتو . أقولها على ما فيها من شدة فلعله يراجع نفسه إليها فيراها حقاً فيعود إلى قراءة القرآن ، ويكف عن أدواره وطقاطيقه التي ثبت له أنه لن يجد من يغنيها له غيره لما في تلحينها من التعقيد ، ولما يحتاج إليه إلقاؤها من الفتوة الغنائية ... وإن كان لا بد له من التلحين فليقنع بالموشحات فهو الأهل لها

الأستاذ علي محمود

عنده ثروة موسيقية هائلة حفظها عن المغنين والمقرئين القدامى فهو يختزن لنفسه من فن الحمولي ، ومحمد عثمان ، وسيد درويش وسلامة حجازي ، ومحمد سالم العجوز ، وأبو العلا محمد ، والمناخلي وغيرهم ، وهو في قراءته يعرض هؤلاء جميعاً وغيرهم ، فإذا تجلى الله عليه قرأ القرآن أو أنشد « المولد » بما يفتح الله به عليه من فن روحه هو ؛ فمنذئذ تسمع صوتاً عالياً من غير شك يعلو فيرفعك وينخفض فيضمك ، وينساب فيملؤك ، فإذا هدأ عنك زفرت وارتحت إذا رد لك السلطان على ترديد أنفاسك بعد ما كان هذا السلطان معه

الأستاذ محمد رفعت

المقرئ الوديع الذي يزف القرآن إلى النفس « متمسكناً » فما عليك النفس إلا أن تحن له وأن تلين ...

الأستاذ عبد الفتاح الشعشاعي

فيه من الموسيقى أكثر مما فيه من التمثيل ، وفي موسيقاه من الطرب أكثر مما فيها من غيره ، وكثيراً ما يخرج بسامعيه عن وقارهم وإن لم يخرج هو عن وقاره . لعله لو غنى القصائد عرض لنا فقيد الموسيقى العربية الكبير الشيخ أبو العلا محمد

لست أدري لماذا لا يجرب هذه التجربة ، ولست أدري لماذا لا تشجعه على ذلك صديقته أم كلثوم بأن تسمعه في قصيدة ثم تغنيها منسوبة إليه !

١٢ — من المحدثين

الدكتور محجوب ثابت

هذا رجل ضحى بنفسه في سبيل إشباع رغبته في الكلام . له ماض وطني ملحوظ ، وجهاد لا يمكن أن ينكر ، ثم إن له علماً واسعاً واطلاعاً متشعباً ، وله بعد ذلك آراء وأفكار لا يزال

يغذى بها المجتمع المصرى ، ولا يزال هذا المجتمع يأخذها عنه ، ومع هذا كله فنصيبه من الجزاء الوطنى قليل . فأغلب الذين خدموا هذا الوطن وعرضوا أنفسهم للمحن من أجله قد كافأهم الوطن بالمناصب والألقاب والأرزاق ، ولكنه كان بين القلائل المهملين على كثرة ما يتردد ذكره على الألسنة ، وعلى كثرة ما يتردد شخصه بين الناس ... فلماذا ؟

لقد أصيب الدكتور محجوب بهذا « التأخر » لأنه كثير الكلام ، ولأنه يخلط الجد بالهزل ، ولأنه لا يعرف مَن مِن الناس يصلح لأن يخاطبه الإنسان بالنكتة ، ومن منهم لا يصلح لذلك ، ومن من الناس يستطيع أن يستخلص من النكتة الحكمة ، ومن منهم لا يستطيع ذلك ... لقد اعتبر المصريون الدكتور محجوب فكاهة من الفكاهات ، حتى فى أشد مواقفه جداً يضحكون منه ... وهم معذورون ... فهو يتحمس لفكرته بعواطفه وأعصابه وجوارحه وشاربيه ولحيته ، بينما يكفيه أن يتحمس لها بعقله ولسانه ، وإنهما لجديران بأن يخضعا له اقتناع الناس ...

لست أدري إذا كان الدكتور محجوب يستطيع وهو فى سنه اليوم أن يعدل نفسه أو أنه لم يعد يستطيع ذلك ، ولكنى على أى حال لم أيأس منه ، ولا أزال أنتظر له خيراً ...

الشيخ عبد الحميد النحاس

وإذا كان الدكتور محجوب ثابت محدث المثقفين من الطلبة ومن هم أكبر منهم سناً وعلماً ودراية من أهل المدن ، فإن الشيخ عبد الحميد النحاس يعتبر محدث الأقاليم . وهو الصحافى الوحيد الذى يتقاضى من المعلنين أجوراً للاعلانات فى جريدته التى لا تصدر على أساس أنه ينشر هذه الإعلانات شفوياً فى المجالس والمجتمعات .

وله طوفات فى الريف المصرى ... يخرج من مديرية إلى مديرية ، ومن مركز إلى مركز ، ومن بلد إلى بلد تقام له الولائم ، ويجتمع له الناس ، وتعقد له المجالس ليتحدث فيها ، وليقول ما يقول ...

وهو يقول فى كل موضوع كلاماً يلذ للريفيين أن يسمعوه ، ويبلغ إعجابهم به إلى أن يحملوه على الأعناق وأن يهتفوا له كأنه غاز أو فاتح ...

الشيخ عبد العزيز البشرى

وهذا محدث الطبقة الراقية . وحديثه شيق سلس جذاب ، حاضر الذهن ، سريع الخاطر ، لاذع النكتة ، رائق البال . وهو إلى جانب ما يتقن من فن الحديث يتقن الكتابة أيضاً ، وكتابته فيها من أحاديثه ، فأحلاها ذكرياته ووصفه لمن قابلهم من الناس ، ونقده لما رآه فيهم من العيب ، وتسجيله لما وجده فيهم من الحسنات

ردان

فى العدد السابق من الرسالة طالع القراء الاعتراضين اللذين شرفنى بهما كل من الأستاذين توفيق دياب ومحمد السيد المويلحى بخصوص ما كتبته فى هذه السلسلة عن أولها وعن الدكتور الحفنى

أما الأستاذ توفيق دياب فقد كفانى الأستاذ محمد محمود دوارة الرد عليه بما يجده القارئ فى « البريد الأدبى » من الرسالة هذا الأسبوع

وأما الأستاذ محمد السيد المويلحى فقد قال إنى بخست الدكتور الحفنى حقه إذ أنكرت عليه إنتاجه فى الموسيقى بينما هو — فيما يقول الأستاذ المويلحى — قد اخترع آلتين موسيقيتين هما قلوت الحفنى والكورية النحاسية

وردى على هذا هو أن اختراع الآلات الموسيقية من عمل علماء الطبيعة لا الفنانين الموسيقيين ، ولا غير

على أنى فيما أعتقد قد جاملت الدكتور الحفنى بعض المجاملة إذ قلت إنه موسيقى من نوعى ، وأنا لا أعتقد أننى إذا شبهت إنساناً بنفسى حططت من قدره ... هذا اعتقادى أنا ...

عزيز أحمد فهمى



حرب ونضـــــال
تأملات فى مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالى

عندما اندلعت ألسنة الحرب فى سبتمبر الماضى كتبنا مقالاً فى « الرسالة » تحت عنوان « فلنستمر »[1] ، اعتزمنا فيه مواصلة الكتابة رغم مجابهة العالم لمحنة قاسية لم يعهدها من قبل ، ورجونا ألا تصرفنا الحوادث عن أداء هذه المهمة ، وليست الكتابة بالأمر الذى يستطيع الإنسان المضى فيه وهو مشغول الفكر مضطرب البال ، وإنما لهدوء النفس والنزوع إلى الكتابة أثرها الواضح فى النجاح والقدرة على التسطير . فالكتابة لا تُقصد لذاتها ، وإنما تقصد لما ترمى إليه ؛ وإن الذى تُترك له صحيفة ليملأها ، يجب أن يكون أهلاً لأن يفيد القراء ، وإلا فليترك المجال لمن هو أقدر على أن يكون أكثر فائدة لهؤلاء الذين يهبون بعض أوقاتهم للمطالعة

ولقد خصَّصتْ « الرسالة » صفحة لمباحث علمية توخينا أن نخط فيها هيكل الكون ، وحاولنا أن نلفت النظر إلى ما فيه من تناسق ؛ ووالينا كتابة هذه المقالات العديدة التى نسرد فيها قصة التقدم ، فقطعنا فى ذلك شوطاً بعيداً ، واستعرضنا للقارئ بعضاً من الخطوات العلمية الكبرى التى توصل إليها العلماء فى العهد الأخير ، وفيها ما له علاقة بتقدم الإنسان فى حاضره ومستقبله

وقد تابعنا هذا الاستعراض وفق تفكيرنا ، فظلت مسائل أخرى عُنينا بشرحها أكثر من غيرها ، إذ كان لبعضها علينا أثر خاص ، وللبعض الآخر فى اعتقادنا سهم فى محور التقدم ، ولا شك فى أنه كان لما تملناه عن قصد أو غير قصد ، وما طالعناه عن رغبة أو مصادفة أثر فى هذا التكييف

وما كنت أعتقد أن الحوادث فى العالم الغربى الذى عنه ندرس وعلى ضوء مؤلفاته نتكون تتطور بهذه السرعة الخاطفة ، وما كنت أعتقد أن سرعتها هذه تؤثر على نفسى فى الأسبوع الماضى هذا التأثير الذى سلبنى فى تلك الآونة الصفات التى تجعل منى شخصاً مفيداً للقارىء ، لذلك تنحيت عن عمد ريثما تهدأ النفس ويستقر الفكر فأستطيع أن أتابع السير فى هذه السطور.

ولئن أسرعنا فى كبح جماع النفس عن الاسترسال فيما يسوقها إلى الاضطراب ويدفع بها إلى الوجوم ؛ فإننا نطالب من القارىء أن ينحو بنفسه هذا النحو ، وقد يكون له فى متابعة هذه السطور التى نستعرض فيها الناحية الإيجابية من عمل الإنسان خير عزاء عن الناحية السلبية التى يندفع إليها فريق من البشر ، وهى الناحية التى يستقى القارىء أنباءها فى الصحف اليومية ، عندئذ وكلما مر أسبوع يتصفح الرسالة ساعة يطالع فيها شيئاً غير الذى تغلب على نفسه فى يومياته وتملك الكثير من أوقاته ، هنا يرى فى قصة العلوم وفى سير الفلسفة ، فى تطور التفكير وفى تقدم الإنسان ، فى ازدهار الميراث العلمى وارتقاء المعرفة ، أن الدنيا ما زالت بخير ، وأن الإنسان ما زال حياً يتوارث المعرفة ويعمل على تقدمها على كر الأيام

فلنستمر إذن فى عملنا وليستمر الذين يتابعون كتاباتنا فى فى مطالعة هذه المجالات التى نعالج بين ثناياها طرفاً من عظمة الإنسان كمخلوق راق لا كمخلوق تعس ، والتى يتجدد بها الأمل فضلاً عما فيها من عزاء للنفس . ولا ريب فى أن المحنة ستنتهى يوماً وأن الإنسان سواء أكان من أهل ألمانيا أو من أهل فرنسا وانجلترا سيدرك أن من خطل الرأى محاربة أخيه الإنسان ، وأن النضال بالكلام خير من النضال بالحديد والنار فيطرح هذه الآلات التى لا تترك وراءها إلا أشلاء تتناثر وأجساداً تتحول قبل الأوان ، ونفوساً أشقها الحزن ، وقلوباً مزقها اليأس ، بل ويدرك أن توجيه الإنسانية صوب مدارج الرقى أولى من الرجوع بها القهقرى

ولو أن السلطات تركزت يوماً فى أيدى العلماء لانتظمت الحياة فى نسق يكفل سعادة البشر ، ولزال إلى الأبد كابوس هذه

(١) الرسالة العدد ٣٢٥ فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ من ص ١٨٧٣ إلى ص ١٨٧٦

المجازر البشرية ، ولو أن ما أنفق على التسلح صرف فى رقى العلم ورفاهية الانسان لرأينا قبل أن نترك الحياة أو تتركنا مدنية أرقى من التى ننعم بها، ولمهدنا وسائل للعيش تختلف جد الاختلاف عما نمهده اليوم . فلنستمر إذن فى عملنا ولنتقدم نحو غايتنا مهما عاودتنا لحظات من الاضطراب ، فلا اضطراب لم يعقبه استقرار ، ولا حرب لم يعقبها سلم ، ولا عمل سلبى مهما طال لم يتله عمل إيجابى . ولنكن جميعاً معاول بناء لا معاول هدم ، بذلك نعاون فى بناء صرح المعرفة ونضيف إلى هيكل الحضارة

ولقد تركت عن عمد الجرائد اليوم لأتصل بالقارئ وتغلبت على نفسى بالاستماع إلى قطع موسيقية ، وكان فى « غابة فيينا » لستراوس » وفى « الرابسودى المجرية » لملحنها « ليست » Lizst ما استحثنى على الكتابة وشدد قواى على التفكير ، وستكون غايتى اليوم أن أرفه عن القارئ بكلمة من نسج الخيال ، ولكنه خيال جائز ، خيال له اتصال بالموضوعات الأخيرة التى تعرضنا لها

* * *

عند ما نتصفح أنباء المعارك الدامية بين البشر ندرس ناحية من صفات الإنسان الذى تطورت حالته على هذه الأرض من مخلوق عاجز عن القيام بتافه الأمور إلى مخلوق يستخدم ذكاءه فى ضرره مرة وفى نفعه أخرى . ثمة عقيدة بأن هذا المخلوق هو أرقى المخلوقات طرا لأنه سما على كل ما يدب على وجه الأرض بذكائه ومقدرته

وإن جاز لنا أن نعتقد أنه المخلوق الوحيد من نوعه فى الكون لتوافر اشتراطات طبيعية عديدة لامست وجوده على النحو الذى هو عليه لا يمكن أن تتوافر كاملة على غير هذه الأرض ، فلا يجوز لنا أن نجزم باستحالة وجود مخلوقات أخرى على الكواكب لها صفات تختلف عن صفات إنسان هذه الأرض

إنما يجيز المنطق إن لم يحتم على الباحث ألا ينفى وجود كائنات أخرى غيرنا على الكواكب ما دام الكون يشمل ملايين الكواكب السيارة ، وما دام بين هذه الكواكب حتما ما تسمح معه الظروف الطبيعية بإمكان وجود نوع من الحياة يشبه حياتنا ، أو نوع آخر من الحياة يختلف عنها ؛ على أن المنطق يدلنا أيضاً أنه لا يجوز لنا أن نعتقد بوجود أوجه شبه شديدة بيننا وبين هذه المخلوقات . وإذا كانت الأحوال الطبيعية اللائمة على سطح الأرض رغم تقاربها لم تكن كافية ليظهر فى نوع الإنسان رجال من شكل واحد ، فما أبلغ الفارق عند ما تختلف الأحوال الطبيعية بين ما فى الأرض وما فى غيرها من الكواكب وبالتالى بين سكان الأرض وغيرنا من الأحياء خارجاً عنها ؟ ، وإذا كان الرجل الجاوى أو الصينى الذى تنسم نسيم جاوه أو الصين يختلف كثيراً عن الرجل المصرى أو العراقى الذى يتنسم نسيم مصر أو العراق ، والذى تذوق ماء النيل أو الفرات ، ويختلف هذا وذاك عن الفرنسى مثلاً ، فما عسى أن يكون الفارق إن تحقق لنا ما يكون عليه مخلوق راق يعيش فى كوكب آخر غير كوكبنا وفى مجموعة شمسية غير مجموعتنا ؟

ونحن فى هذا تسوقنا فكرة الإشعاع إلى تصورات ينبغى التأمل فيها عندما نجيز لأنفسنا التحدث عن مثل هذه المخلوقات (1) التى نعتقد أن وجودها أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال

* * *

ذكرنا فى مقالاتنا الأخيرة أن الكون زاخر بمختلف الإشعاعات التى لا تراها عين الإنسان ولا تشعر بها حواسه ، وأن الضوء والكهرباء نوع واحد من الإشعاع ، وإننا لا نرى من الأشعة إلا شيئاً طفيفاً إزاء ما لا نراه . ذلك لأننا خلقنا بحيث لا نرى من الكون إلا يسيراً من مكوناته العديدة الممتدة بعيدة عن حواسنا

ولو أن كائناً غير الإنسان تكونت عنده حاسة النظر بطريقة يرى الأشياء بطولها وبعرضها ، ولكن لا يستطيع أن يدرك منها ارتفاعها (هذا النوع من الكائنات يجوز وجوده أو هو موجود فعلاً) ، فإن صور الأشياء تختلف عند هذا الكائن عن صورها عندنا ، فإذا امتد نظره من عل إلى مركبة ترام رأى هذه المركبة مستطيلاً يسير بين خطين يمثلان حدى الطريق الذى تسير فيه ، ورأى « الكمسارى » والسائق دائرتين إحداهما مجاورة لأحد أضلاعه والثانية تتنقل على حافته طوراً تقترب من ضلعه الأعلى وتارة تقترب من ضلعه الأسفل ، ويرى الجمهور دوائر كثيرة

(1) هذا ما سنشرحه فى المقال القادم

متراصة فى صفوف متوازية داخل هذا المستطيل المتنقل

إن هذا الكائن المسكين لا يستطيع أن يرانا على حقيقتنا ، فلا تطابق إليه ، وهو لا يرى من مركبة الترام إلا هذا المستطيل المتنقل ، أن يستوعب ما فيها من مادة الخشب أو يذهب فى الفكر إلى أكثر من ذلك فيفهم ما يحمله الخشب من أجهزة الكهرباء أو يفهم خواص أو ماهية هذه الظاهرة

ثمة ثلاثة مراحل فى التطور أمام هذا المخلوق :

الأولى : وهى التى وصل إليها فعلاً أن يرى الأشياء بمساقطها فيرى فى المركبات هذه المستطيلات المتحركة

الثانية : أن يدرك هذه المركبات بارتفاعها ويستوعب أيضاً مادتها

الثالثة : وهى أصعب هذه المراحل ، أن يدرك أعجب ما فى تركيبها فيفهم أننا نستخدم فيها ظاهرة عجيبة هى ظاهرة الكهرباء فيعلم بذلك أمراً خافياً خارجاً عن تركيبها الظاهرى ، أمراً يجعل لها شيئاً شبيهاً بالحياة إن صح أن الحركة من أهم مميزات الحياة .

* * *

نقف الآن عند هذا الحد من المقال ، وما قصدنا من هذه السطور إلا لتكون مقدمة للمقال القادم

إنما نترك للقارئ فرصة يتأمل فيها لماذا اخترنا هذا النوع من المخلوق العجيب الذى لا يرى من مركبات الترام إلا مستطيلات تتنقل فى الطرقات التى يراها خطوطاً ممتدة فى المدينة ، ولا يرى من جمهور الراكبين وهو ينظر إليهم من مستو عال إلى دوائر متراصة فى صفوف متوازية ، ولا يرى من « الكمسارى » إلا دائرة تتنقل على حافة هذا المستطيل

ولم يكن مقالنا اليوم بالموضوع الذى يشق على الفهم ، ويحتاج إلى طرف يسير من المقدمات العلمية ، أفكان لموسيقى « ستراوس » و « ليست » سبب لكى ننحو هذا النحو من التأمل ؟ ربما كان لذلك أثر ؛ ولكن مما لا ريب فيه أننا كنا فى حاجة إلى هذه النغمات نستمع إليها بعد ما تملك النفس من الاضطراب المتوالى فى الأيام الأخيرة ، ولا شك فى أن القارئ كان هو أيضاً فى حاجة إلى هذا النوع من الترفية عن النفس وتسكين الخاطر

وإلى المقال القادم ، فإننا فى حاجة إلى هذا المخلوق العجيب لكى نشرح موضوعاً يلتمع فى الذهن ويجول فى الفكر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

البريد الأدبي

أندريه موروا يبحث عن شخصية جديدة

يبحث الكاتب الفرنسى أندريه موروا عن شخصية جديدة على غرار شخصية « كولونيل برامبل » التى ابتدعها أثناء الحرب الماضية وسجلها فى كتابه المعروف « صمت الكولونيل برامبل »

ولقد زار موروا أخيراً أحد مراكز التدريب بسلاح الطيران الملكى فى انجلترا ، وكان قد دعى لإلقاء خطبة على عدد كبير من طلبة الطيران . فقال : « لا مراء فى أن يكون الكولونيل الأول قد ناهز السبعين من عمره ، وأنا اليوم أبحث عن حفيده . وسيكون بحثى عنه هذه المرة فى سلاح الطيران الملكى . ولا شبهة عندى فى أن الصفات التى جعلت من الشيخ ضابطاً ممتازاً ستجعل من الحفيد ضابطاً ناجحاً . فهل لى أن ألتمس منكم المعونة على العثور عليه ؟ »

والمسيو موروا ملحق بالقيادة البريطانية العامة فى فرنسا ، كما كان فى الحرب الماضية . وقد بذل جهداً جباراً ليسهل على الفرنسيين فهم الإنجليز وتقديرهم . ونال المسيو موروا وسام (ك . ب . ا) فى عام ١٩٣٨ ، وهو يحمل وسام اللجيون دونير كما هو حاصل على درجات الشرف من جامعات اكسفورد ، وادنبرة ، وسانت أندروز

ومن مؤلفاته المعروفة : « آريل — أو حياة الشاعر شيللى » و « دزرائيلى » و « بيرون » و « فولتير » و « الملك ادوارد وعصره » و « ديكنز » و « تاريخ لانجلترا »

المعاهد الأجنبية فى مصر

يبلغ عدد المعاهد الأجنبية فى مصر ٤٠٠ معهد ، منها ١٨٥ معهداً فرنسياً ، و ٦٤ معهداً إيطالياً ، و ٦٢ معهداً يونانياً ، و ٤٢ معهداً انجليزياً ، و ٣٨ معهداً أمريكياً ، وأربعة معاهد ألمانية ، ومعهدان روسيان ، ومعهدان هولانديان ، ومعهد سويسرى وآخر سويدى

ويبلغ عدد المعاهد التى أسست لأغراض دينية ٣٠٧ أى ٧٦ ٪ من مجموعها ، منها ١٦٣ لفرنسا ، و ٤٥ لإيطاليا و ٣٥ لليونان ، و ٢٤ لانجلترا ، و ٣٥ لأمريكا ، ومعهدان لألمانيا ، ومعهدان لهولندا ، ومعهد للسويد

ويبلغ عدد التلاميذ الملحقين بهذه المعاهد ٧٥٫٣٩٢ تلميذاً وتلميذة ، منهم ١٠٫٩١٥ من التلاميذ والتلميذات المسلمين ، و ٦٩٣٤ من اليهود ، والباقى من المسيحيين والأقباط

ويبلغ عدد المعاهد التى ليس بها مسلمون ١٠٣ ، وقد لوحظ أن أكثر المدارس الأجنبية غير الدينية ليس بها تلاميذ مسلمون

المعاهد الفرنسية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٣٤٫٥٠٨ منهم ٦٢١٤ من المسلمين أى بنسبة ١٨ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التى بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٢٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٦٥ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٢١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ١٣ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الإيطالية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢٫٧٦٩ منهم ١٨٠٤ من المسلمين أى بنسبة ١٤ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التى بها أقل من ٥٠ تلميذاً إثنين ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٠ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٦ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهدين

المعاهد اليونانية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢٫٣١٣ منهم ١٦٠ فقط من المسلمين أى بنسبة ١ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التى بها أقل من ٥٠ تلميذاً ١٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٨ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٤١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ٥ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الانجليزية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٦٠٩١ منهم ٦٤٥ من المسلمين أى بنسبة ١٥ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التى بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٢ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٣ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهداً واحداً

المعاهد الأمريكية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٧٦٩٧ وإن كانت أقل عدداً من المعاهد الإنجليزية منهم ١٦٥٥ من المسلمين أي بنسبة ٢١ ٪

ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ١٢ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٩ ، وأكثر من ٥٠٠ معهداً واحداً

المعاهد الأخرى

يبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الألمانية ٥١٧ منهم ١٣١ من المسلمين ، أي بنسبة ٢٥ ٪ ، وهذه المعاهد الأربعة موزعة بين القاهرة والأسكندرية وأسوان

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الهولندية ٢٥٠ منهم ١٢٢ من المسلمين ، والمعهدان الهولنديان في مديرية القليوبية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويسري في الأسكندرية ٧٠ تلميذاً منهم ثلاثة من المسلمين

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويدي ٥٩ منهم ٤ من المسلمين وهذا المعهد في مديرية الدقهلية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهدين الروسيين ١١١٨ تلميذاً منهم ١٧٧ من المسلمين

إلى الأستاذ عباس محمود العقاد

عزيزي الأستاذ الزيات

يسرني أن أنقل إليكم ما لمسته في أجواء الأدب عندنا من ارتياحها إلى مقالكم البليغ الشائق عن (رأي الرافعي في الأستاذين طه والعقاد)، وتشوقها إلى الاستزادة في تسجيل هذه الأحاديث الطريفة التي يتناقلها كبار الأدباء في مجالسهم الودية الخالصة حيث تتجرد النفوس من ملابسات الخصومة، وتتبرأ من نزوات الضغينة، وتتخفف من أحقادها الطارئة وبدواتها العارضة ...

وفي الحق أنك كنت ظريفاً لبقاً في حديثك مع الرافعي فقد استطعت — في شيء من مكر الصحفي — أن تستدرج الرجل وتستخرج من فمه — في غفلة من غرائزه النائمة — هذا الحكم السديد الرشيد في أدب الأستاذ العقاد . وهنا أحب أن أوجه سؤالاً إلى الأستاذ الكبير العقاد أظنه يتردد على لسان كل قارئ عربي مثقف

قد رأيت يا سيدي الأستاذ أن الرافعي قد استطاع أن ينسى الماضي بأحقاده وضغائنه فاعترف لصديقه الزيات أن كتابه « على السفود » لم يكن وحياً من الله وإنما كان رجساً من عمل الشيطان . ولم يقف اعترافه عند هذا الحد بل عمد إلى تحليل مذاهبك الأدبية بنزاهة عجيبة

فهل لنا أن نأمل منك أن تحدثنا بفصل تنشره في الرسالة عن رأيك الصحيح الصريح في أدب الأستاذ الرافعي فتنصف هذا الأدب من أن يتهجم عليه أولئك الذين ارتجلوا حرفة الأدب ارتجالاً وانتحلوها انتحالاً ... إن جمهرة القراء عندنا لتستشرف نفوسها جميعاً إلى علالة منك تبل بها الصدى ؛ وحديثك الصحيح الصريح في أدب الرافعي هي العلالة التي يرتقبونها من زمان بعيد

فهل يتحقق هذا الرجاء ؟ وهل تصدق هذه الأمنية ؟

إنا لمنتظرون ...

(حمص) عبد القادر جنيدي

رأي الأستاذ الشاعر « أبو شبكة » في ليالي الملاح التائه

هذا شاعر أحبه ، وقد زاد حبي له منذ أن أقصى لقب مهنته عن اسمه الشعري ، فلعهد خلا كان يدعى « علي محمود طه المهندس » فتذمرت من هذا اللقب في معرض حديث لي عن شعراء مصر ، وهمست في مسمع الشاعر أن كلمة « مهندس » تنفر أذني الموسيقية بما تنطوي عليه من الخطوط والمنعرجات ، وتشبكني بقضبان وحبال لا أطيقها . وكأنه يحبني هو أيضاً ويحترم أذني الموسيقية ، فارتفع بين ليلة وضحاها من « علي محمود طه المهندس » إلى « علي محمود طه »

وعلي محمود طه من أجل شعراء مصر . فالجمال منزوع في جميع قصائده ، حتى في « أفراح الوادي » منها . ولكم تمنيت لو أفرغ مجموعته الأخيرة « ليالي الملاح التائه » من قصائد « أفراح الوادي » وأبقى هذه الأخيرة لمجموعة أخرى يوعيها ما يعرض لخاطره من أسباب التهاني والرثاء ...

* * *

استهل الشاعر مجموعته بـ « أغنية الجندول Gondole » وقد تكون هـذه القصيدة أشعر ما في « ليالي الملاح التائه » وأجمل وأطرب ، وكفى ... لا أعلم ما بي ... أتراني متبرماً هذه الليلة ؟

فتعريف الشاعر لقصيدته الساحرة هذه بأنها « تغريدة الموسيقار الكبير الأستاذ محمد عبد الوهاب » لا يعلى مقامها فى نظرى . فعبد الوهاب يغرد لمن هب ودب من الشعراء فضلاً عن أنه لا يشرف شاعراً كعلى محمود طه

***

أما أعمق قصائد « ليالى الملاح التائه » فهى ولا شك قصيدة « كأس الخيّام » فقد قدر الشاعر فى قصيدته هذه على التسلل إلى خوابى نيسابور فشرب من الخمرة التى أسكرت عمر الخيام ، ورأى فى هذه الخمرة ما لم يره الدهماء من الناس :

قصة الزهد التى غنوا لها ... عللتهم بالسراب الخادع
نشوة الشاعر ما أجملها ... هى مفتاح الخلود الضائع

لقد سكر من خمرة الشاعر فجاء بشعر روحانى من نسيجه ، وغمرك بجو سرى يدرك بالحس إذا أرهف وعمق ، ويحملك — على غير هوى منك — إلى نعيم من الحياة لن تقدر لك متعة فيه إذا لم تكن شاعراً فى أعماقك

كأس الخيّام هى الحياة كما يجب أن تكون ، فيها الخمرة الخالدة ، هذه الخمرة التى فقدها الشعراء :

أيها الخالد فى الدنيا غراماً ... أين نيسابور والروض الأنيق
أين معشوقك إبريقاً وجاما
هل حطمت الكأس أم جف الرحيق ؟

وكأنى بالشاعر قد فرغ الشعراء من حوله ، يقول لهؤلاء : « الكرمة ما تزال خضراء ، والمرأة ما تزال جميلة ، والطبيعة لم تخل عن عهدها ، فلمَ خثر فيكم الحس وجف الرواء ؟ أتراكم ضللتم طريق الحمارة المحببة ؟ »

كلما لألأ فى الشرق السنا ... دقت الباب الأكف الناحله
أيها الخمار قم وافتح لنا ... واسقنا قبل رحيل القافله

لزوال الحياة وأوهامها اللذيذة فى هاتين الكلمتين : « رحيل القافلة » ، وقعة فى نفسى كتلك « الكوكو » من مطوقة الخيام على طاق كسرى

وقد لا تشيع فيك الكآبة مما فى « ليالى الملاح التائه » ، حتى تشيع فيك غمرة من الطرب ، ويلتقى هذا الطرب وتلك الكآبة فى مزيج بلطف فى نفسك ويخلق حولك جواً يوحى إليك شوقاً وحسرة ، شوقاً إلى متع الحياة ، وحسرة على زوالها

ها هم العشاق قد هبوا إلى الوادى خفافا
أقبلوا كالضوء أطيافاً وأحلاماً لطافا
ملأوا الشاطئ همساً والبساتين هتافا

الصبا والحسن والحب هنا ... يا حبيبى هذه الدنيا لنا
فاملأ الكأس على شدو المنى ... واسقنا من خمرة الرين ، اسقنا

أجل ، أيها الشاعر ، إن الدنيا للشعراء ما بقى الحب فى قلوبهم

المكشوف ... الياس أبو شبكة

تصويب

سيدى الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة :

تحية وسلاماً . وبعد فقد رأيت فى العدد (٣٥٤) من مجلتكم الغراء تصويباً جاء فى صفحة البريد الأدبى بقلم الفاضل (محيى الدين اسماعيل) من البصرة يصحح فيه قول أستاذنا الطنطاوى : « يستقرى رمال الدأماء » الذى جاء فى مقاله بالعدد الممتاز . وقد استرعت هذه الكلمة نظرى بشكل خاص لأن هذا المعنى المبتكر فى الأدب العربى كان قد استوقفنى أيضاً حين قراءتى المقال منذ بضعة أسابيع . ولكننى لم أكتب شيئاً لعل الأستاذ يعود فيبين مرماه فى هذا التعبير . ولكنه لم يفعل ، والظاهر أنه أدرك أن هذا الأمر بيّن لا يحتاج إلى بيان . فأحببت بعد أن أعود إلى الموضوع — بإذنكم — وأنوه عنه بكلمتين مخافة أن يخطئ فى فهمه بعض القراء كما حدث لصديقنا الأديب البصرى لم يقصد الكاتب الصحراء (بالدأماء)، وإنما كان يعنى البحر الحقيقى ، ومن المعلوم أن رمال البحر لا تقل عن رمال الصحراء واستقراؤها أصعب . لذا كان التشبيه بها أبلغ ، ووجودها فى القعر لا يمنع ذلك ، ولا أزال أذكر جيداً ذينك المثلين المشهورين فى الأدب التركى : « أكثر من رمال البحر » و « فى البحر الرمال وعنده الأموال »

(بغداد) ... فيصل صبيح نشأت

علاج للفتاة المنكوبة

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد، فقد كتب الأستاذ المويلحي بالرسالة أخيراً يستنجد بأهل المعرفة لفتاة نكبت بلحية كثة للبحث عن علاج لهذه النكبة البدنية، وفيما يلي ما يعرف عن الموضوع :

المعروف أن هرمون الغدة القشرية فوق الكلى له تأثير كبير في خلق مميزات الرجولة المتعددة، وما نكبت به الفتاة وما يحتمل أن يبدو عليها من مظاهر أخرى في المستقبل يعود إلى نشاط هذه الغدة الزائدة، وهذا النشاط يعلل عادة بوجود أورام في الغدة تسبب هذا الهياج، وعلاج الحالة جراحي باستئصال الورم، ولا تمس الغدة لأن في استئصالها الموت في التو واللحظة.

وتصاب المرأة في سن اليأس بشارب خفيف ومرجعه هو ضعف المبيض في سن اليأس، وهذه الحالة متداركة بالعلاج بهرمونات المبيض

ويلاحظ العلامة Binet أن الغدة الدرقية غدة نسائية، أي أنها تكبر حجماً عند النساء عن الرجال، وقد يكون نشاط الرجل أكثر من المرأة راجع إلى كبر الغدد الأدرينالية (مجموع الغدد فوق الكلى) التي تعتبر غدد النشاط الإنساني عند الرجال.

كامل يوسف

عضو المعهد الفلكي البريطاني بلندن

حول نقد

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب الرسالة :

الأستاذ عزيز فهمي أخطأ في روايته عن خطبة الأستاذ توفيق دياب خطأ طفيفاً لا يمس لب الموضوع حين ذكر أن خطبة البلبيس كانت في رثاء سعد، بينما هي لم تكن إلا لتأييد مرشحي الوفد بالإسكندرية وقد كنت من شهود الحفلة التي وصفها الأستاذ عزيز، ولا تزال ماثلة في ذاكرتي وذاكرة كل من حضر تلك الحفلة الانتخابية، وأظن أن الأساتذة: ممدوح بك رياض وعبد الفتاح الطويل وحسن سرور كانوا من شهود هذه الحفلة . . .

«السويس» **محمد محمود دراز**

آدم

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

تحية ... وبعد فقد قرأت في العدد ٣٦٠ من الرسالة الغراء مقال (الأسماء تملل) للأستاذ مأمون عبد السلام، وهو في الحقيقة بحث قيم ودراسة ممتعة تعتبر خلاصة لتاريخ وضع الأسماء ومعانيها. ولقد أقام الكاتب الدليل على أن الأسماء تملل . وبذلك هدم النظرية القائلة بأن (الأسماء لا تملل) غير أني أعتقد أن الكاتب أخطأ في علة تسمية (آدم) إذ قال: «... فمعنى كلمة (آدم) الرجل لأنه أول رجل خلقه الله» والصواب عندي هو أن (آدم) سمي بهذا الإسم لأنه خلق من أديم الأرض - أي من قديمها - هذا ما أعتقده والسلام على الأستاذ (ع . ح)

الكتب

وحى الرســـالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

[٤٨٠ ص من قطع الثمن . مطبعة الرسالة ١٩٤٠ . القاهرة الثمن ٢٥ قرشاً]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذا كتاب جديد تظفر به المكتبة العربية فى هذه الأيام . أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة . والزيات — كما يعرفه قراء الأدب العربى — من أعلام النهضة الأدبية الحديثة، ومن قادة البيان الصحيح . اشتغل زمناً بالتعليم ثم انقطع للصحافة الأدبية الخالصة ، فكانت له مجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب وديوان العرب اليوم

وقد جمع الزيات بعض مقالاته الافتتاحية التى كتبها فى الرسالة على مدى ثمانية أعوام فى كتاب ، لأنها فى مجموعة أدل على الغرض والفكرة وأعم فائدة منها وهى متناثرة على صفحات الرسالة . ونظراً لأن هذه المقالات من وحى رسالته ، لهذا جاءت تسميتها « بوحى الرسالة »

وهى فصول متناثرة يتنازعها الأدب الصرف والفكرة الاجتماعية المصلحة والنظرة النقدية الصائبة . وهى كلها بعد ذلك تفيض من أصل أدبى وتاريخى من شخصية الكاتب متخذة لوناً خاصاً . والزيات أديب فنان ، يحسن إبراز الحياة التى فى الأشياء بالفكرة التى تنطوى عليها، وبالعاطفة التى تحملها فى طياتها، وبالخيال الذى تحتوى عليه . ومن هنا نجد التنوع فى جمال كتابة الزيات التى تتوازن فيها الفكرة مع العاطفة مع الخيال ، والتى تتناسب كلها مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء فى صورة أدبية وقالب فنى محكم . والحق أن الزيات هو الأديب العربى الوحيد بين كتاب اللغة العربية اليوم الذى تميزت فى ذهنه مدلولات الألفاظ فعرف دقائقها وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها ، ومن هنا تراه يلبس فكرته وإحساسه وخياله اللفظة الخاصة بها ، التى تعطى لونها من لغة الكلام

ويستهل هذا الكتاب بفصل مستفيض عن الجمال ، ترى الكاتب بأسلوب المنشئ البليغ يعرض لماهية الجمال ، ولغلبة الأصل الفنى فى نفس الكاتب نجده يبتعد عن مناقضات الفلاسفة وعلماء الجمال (البديع) asthetique فالجمال عنده يقوم على القوة والوفرة والذكاء، وينشئ فى الذهن فكرة سامية، ويبعث فى النفس إحساساً وشعوراً صادقاً ، ويثير الخيال ويحرك التصور . وهو يتبسط فى شرح هذه المبادئ تبسط الأديب الفنان الذى لا يعنيه الأسباب قدر ما يعنيه الكنه والروح ، وينتهى من بحثه إلى نتائج مهما نازعته فى أمرها ، فلا يمكنك أن تنكر عليه بعد ذلك صفة العمق فى الفكرة والدقة فى التصور والصدق فى التعبير . ثم هنالك فصل عن الرافعى يعتبر من خير الفصول الأدبية التى كشفت عن عبقرية هذا الأديب الذى لا نشك لحظة فى أنه سيخلد ما بقيت العربية وبقى إنسان يعرفها . وفى هذا الفصل يبين الزيات خصائص أدب الرافعى فى قصد واعتدال ، فالفكرة مبسوطة بقدر ، والتعبير نازل تماماً على قدر المعنى

والحقيقة أن الزيات قد خلف فى مدرسة البيان العربى المرحوم الرافعى ، وهما على ما بينهما من اختلاف فى الطبع وتباين فى المزاج وتفاوت فى الثقافة إلا أن قوة الفن وحركة الذهن تجمعهما . وإن كان ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس . فمعانيه مفهومة وهى ذات أصل دقيق من الفكر . وفكر الزيات ملتقى العقلين العربى والغربى، العربى فى جلالته وروعته، والغربى فى عظمته وترتيبه وانتظامه ودقته

* * *

وجملة القول أن هذا الكتاب من خير الكتب التى تمسك على الناشئة أسلوبهم وتميل بتعبيرهم إلى البيان الصحيح ، ومن هنا كان جديراً بالتقدير ، إذ يقف أمام عوامل العجمة والتضعضع الطاغية على أقلام الناشئين من كتاب اليوم

« أدهم »

وجيدة

قصة للأستاذ شعبان فهمي

[٢٧٦ صفحة من القطع الصغير . مطبعة صلاح الدين .
الاسكندرية ١٩٤٠ . الثمن ٨ قروش مصرية]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه قصة جديدة هي باكورة آثار الأستاذ شعبان فهمي ، وهو أديب مصري شاب . أقام بفرنسا فترة من الزمن ، فاتصلت به الأسباب بالجهود الفنية القصصية الكبرى هناك ، فكان من ذلك أن اتجهت قابلياته الأدبية اتجاهاً قصصياً . تظهر فيما له من براعة في السرد وحبك الحوادث ، وهذه القصة على الرغم مما فيها من العيوب الفنية تعتبر النموذج الأول للقصة المصرية الواقعية ، وهي في الوقت نفسه باكورة طيبة للارتفاع بشأن القصة الطويلة في مصر . وهي على الرغم مما فيها قوية في روحها ، تمتاز بانفراج عنصر الحياة التي فيها واتساعها ، ولكن الحشد الكثير للوقائع والتفاصيل ، ثم الاقتصاد في الوصف والتحليل للوقائع الرئيسية وللمواقف المهمة ، ألقى على جوّها شيئاً من الضعف والفكرة التي تمسك على هذه القصة أسبابها متوافقة الأجزاء ، فيها تناظر وانسجام . فهذا منير حمدي شاب مصري يستقبل الأسكندرية بعد غيبة سنتين في فرنسا يدرس فيها الحقوق فلا ترى وصفاً للمشهد العام للأسكندرية من البحر ولا تحليلاً مسهباً للمشاعر التي استولت على نفس الشاب، وإنما تجد الكاتب يطوي الموقف بسرعة معتنياً بوصف تفاصيل لم تكن لازمة ليدنيك أخيراً من خاتمة المشهد المؤلم ، وهو لقاء منير حمدي لوالده بعد غيبته ، وهو على سرير الاحتضار ، ويصبح الفتى بعد وفاة والده موضع العناية والرعاية من عمه الذي يحب أن يظهر له عنايته ورعايته بأن يشجعه على المضي في دراسته حتى يستطيع أن يتزوج ابنته سنية ، ويعلن منير الخبر لبعض معارفه ، فتنتهي إلى سمع سنية التي تثور لأنه لم يحدث أن أخذ رأيها في مسألة زواجها منه . غير أنها تظهر بعد ذلك تحفظاً واقتصاداً معه ، والفتى في تقلب من الحال تتنازعه إغراء الفتيات وقلبه متفتح لإغرائهن وفي يوم ومنير بصحبة «سنية» ابنة عمه في مرقص ، يحدث أن يتوعك مزاجها وتصاب بدوار ؛ فيخرج مندفعاً ليجلب لها قرص « اسبرين »

من صيدلية قريبة ، ولكنه لا يحس بنفسه إلا وهو في مفترق الطرق حيث سيارات تمر وعربات تجري وترام قادم ، فيجري ويغيب على الدنيا ، ويصحو ليجد نفسه في المستشفى وسنية إلى جواره . ويشعر بألم في طرف قدمه اليمنى فيلقي نظرة فلا يجد سوى قدم واحدة ، أما الأخرى فقد بترت . وتتغير العلاقة بين سنية ومنير ، فسنية ترى أنها مسؤولة عما أصاب ابن عمها منير، ويزيح منها إحساس العطف والحدب كبرياءها فتنكشف لها ما تكنه له من حب في أعماقها . غير أن منير يحمل هذا الحب على شفقتها عليه فلا يشجعها في حبها له ويميل عنها ، وإن كان في صميمه يميل إليها . وهكذا يتغير الموقف في القصة . وفي هذا التغيير الذي أحدثه الكاتب ما يدل على براعة فنية غير أن منير تحت تأثير كبريائه يحاول أن ينسى سنية . وينساها بالانغمار في شخصية وجيدة التي تحدب عليه وتعطف . ويسافر منير مع وجيدة إلى باريس ليكمل علومه ، وهنا يعقد عليها زواجه تحت تأثير ثورة من ثورات كبريائه أمام حب سنية له التي كتبت إليه تشكو تباريح غرامها له . والقصة في جزئها الأخير تفقد اتزانها وتناظرها الفكري ، إذ تزيح وجيدة شخصية سنية من جو القصة وتحتلها ؛ ولو كان الكاتب اتخذ من وجيدة شخصية عارضة تجيء لتحدث التوائم بين منير وسنية ، حيث يتزاح عن منير كبرياؤه وعن سنية شعورها بالمسؤولية فيما أصابه ، ويبدو حبهما لبعض خالصاً ، فإن القصة كانت تتخذ وصفاً أدق للكمال ؛ ومن هنا يمكن اعتبار استهلال القصة أبرع ما فيها من جهة الفكرة المتسقة المسيطرة عليها

وفي القصة مفارقات عجيبة ، فبينما نجد أن شخصيتي منير وسنية متميزتان ، نجد شخصية وجيدة عادية ، رغم ما حاول الكاتب أن يبسطه عليها من الإبهام . وهي برغم عادية شخصيتها ترتبط بشخص منير المتميز الذي ينفصل عن شخصية سنية المتميزة. ولا شك أن هذه المفارقة نتيجة ميل المؤلف مع الفكرة الرومانتيكية حيث الخروج على القواعد الكلاسيكية في القصة . كما وأنه من الملاحظ على شخصية منير اضطرابها وضعفها ، فهو لا يقدر على إثارة حب المرأة له إلا عن طريق إثارة شفقتها عليه ، وهو في الوقت نفسه ثائر لكبريائه ، وفي هذا الاضطراب تقوم شخصيته التي تخلق أعمال القصة بالتداخل مع الشخوص التي تقابله . غير أن الكاتب تمكن من إيجاد الموازنة بين شخصية منير وشخصية



قصة أم

للكاتب الدانمركي « أندرسن »

« عالج أندرسن القصة الرمزية فبرع بها إلى حد بعيد . وقد لاقت أقاصيصه ومؤلفاته أنصاراً ومعجبين لا يكاد يحصيهم العد ، وترجمت مؤلفاته إلى كثير من اللغات ، فتناقلتها الأيدي وانكب عليها الأدباء والمتأدبون يقرأونها ويدرسونها ، وما يزدادون بها – على كر الأيام ومر الليالي – إلا إعجابا وافتتانا .

و « قصة أم » من أحسن أقاصيصه وأكثرها روعة وجمالا ؛ تصور عاطفة الأم المتوقدة ، وحنانها المشبوب ، وحبها الذي لا يدانيه حب . »

كانت الأم جالسة إلى جانب ابنها الطفل متجهمة الوجه مقطبة الأسارير ، يبدو على محياها الحزن بأجلى معانيه وأوضح صوره

لقد كانت تهاب الردى أن يمد إليه يمينه فينتزعه من بين أحضانها . أما وجه الطفل الصغير ، فقد كان شديد الشحوب كثير الاصفرار ، وعيناه الصغيرتان كانتا مغلقتين بهدوء ودعة ، كان يتنفس ولكن بجهد وعناء ؛ وقد يتنفس ملء رئتيه ويبعث مع أنفاسه أصواتاً غريبة ، حتى ليخال الناظر إليه أنه ينتحب بحسرة وألم . غير أن مرأى الأم الحزينة كان يدعو للشفقة والرحمة أكثر مما يدعو لذلك منظر الطفل المحتضر

ها هو الباب يطرق... ثم يدخل منه رجل في خريف حياته يرتدي معطفاً من جلد الفرس الكثير الدفء ، وحق له أن يرتدي مثل هذا المعطف ؛ فإن الفصل فصل شتاء ، والبرد برد قارس . وفي خارج المنزل كانت الثلوج تجلل كل شيء ، والجليد يحجب عن الأنظار كل موطئ ، والرياح الهوج تزفزف ، حتى لكأنها توشك أن تمزق الوجوه

كان الزائر المسكين يرتعش من البرد ويرتجف ، وبما أن الطفل قد أغمض جفنيه ليغفى بضع دقائق ، فقد ارتأت الأم أن تضع للعجوز إبريقاً من الجعة صغيراً ليدفئ به جسمه ، ويطرد البرد من كيانه ؛ فلما قامت الأم إلى ذلك دنا العجوز من سرير الطفل وأخذ يهزه برفق ... وعادت الأم بعد حين ، فتناولت كرسياً مفكك الأجزاء مضطرب القوائم ، ودنت به من مكان العجوز . وأمسكت يد الطفل الصغيرة بين راحتيها وأخذت تتأمله بحب وحنان ؛ بينما كان الطفل المريض يتنفس بجهد أكثر وعناء أشد

وجيدة بتداخل سنية بخطاب ترسله إلى منير تبثه حبها له . فتثور كبرياؤه ويرضى بالزواج من وجيدة . وفي ظله ما يجد راحته النفسية حيث حاجته للمرأة ، لم تكن لزوجته فحسب ، تشغل منه مكان النصف المكمل ، بل كانت حاجته للمرأة كزوجة وأم تشغل منه مركز الأنثى من الرجل ، لا مركز الأم من وليدها حيث تحدب عليه . ووجيدة بشخصيتها فيها ما يشبع هذه النواحي من نفس الفتى ، وفي هذا سر تغلب دورها في القصة على دور سنية

أما المميزات الفنية في القصة فتظهر في قوة السرد ، وسرعة الحركة ، والحشد للحوادث والوقائع ، وهذا يعطي القصة ما فيها من حياة ، غير أنها حياة عادية لا تميز فيها – وشرط من شروط القصص التميز – ولعل البساطة في حياتها تعود إلى أن الكاتب يأخذ الأمور بالهوادة والملاينة ، ويتبسط مع الحوادث برفق وبطء ، مقيداً بالواقع المبذول للحس . ومن هنا فقصته نموذج طيب لما تكون عليه القصة المصرية الأصيلة . وهي من هنا تحمل أذهاننا إلى جو أقاصيص محمود تيمور . هذا والكاتب على جانب من الاقتدار في رسم شخوص قصة من حركاتها وسكناتها . وهو يكتفي بتعريف الشخص بمميزاته الداخلية دون أن يحاول تكملتها بتكوينه الخارجي . وهذا يرجع لضعف الأصل التصويري عنده . وهو بدوره عائد لبساطة الخيال

والبساطة والسهولة هي أبرز ما يميز أسلوب القصة ، وإن كان للكاتب بعد ذلك قدرة على مسك أجزاء القصة وربطها ببعض وسلسلة حوادثها بحيث يتوالد بعضها من البعض ، غير أنها قدرة لا تتعدى محاكاة الواقع . ولعل هذا نقطة من نقط الضعف فيها إذا أردنا البروز والتميز القصصي ، وسبب من أسباب نجاحها إذا وقفنا عند حد الواقع واعتبرنا القصة محاكاة للواقع المبذول للحس .

وهنا موضع الافتراق في النظر لهذه القصة من ناحية فنيتها ... ويستحسن أن يتلو القارئ فصلاً قيماً كتبه الناقد الأديب صديق شيبوب (البصير ١٩ أبريل سنة ١٩٤٠) ، فهو فصل انتقادي جدير بالعناية ، وهو يكمل ما جاء في كلامنا عن هذه القصة من آراء ومطالعات .

(أدهم)

والتفتت الأم على حين بغتة إلى الرجل العجوز وقالت له تحدثه :

— ألا تعتقد أنه سينجو وأفوز به ؟ ... إن الله رؤوف بعباده وهو لن يفجعني فيه أبداً ... أليس كذلك ؟ ...

أما العجوز « المسكين ! » فقد كان ملاك الموت نفسه . وقد هز رأسه هزة واحدة كان فيها جواب النفي أو الإيجاب

وأحنت الأم رأسها ونظرت إلى الأرض بعينين أفعمهما الدمع السخين ، وسالت العبرات منهما على الوجنتين

وشعرت فجأة بثقل في رأسها ، ونعاس في جفنيها . لقد طوت ثلاث ليال كاملات لم تذق خلالها للكرى طعما . وهنا أخذ النعاس يداعب جفنيها ، فأغفت دقيقة واحدة فحسب . . .

ثم استيقظت وهي ترتجف من البرد وترتعش . وألقت حولها نظرات حائرة ، وصاحت بخوف وذعر :

— ما هذا ؟ . . .

لقد ذهب الرجل ... والطفل الصغير لم يكن في سريره ... إذاً لقد اختطفه العجوز ومضى به

وفي أحد أركان الغرفة كانت الساعة التي أكل الدهر عليها وشرب ، تحدث أصواتاً ممازجة مختلطة ؛ وكانت توموها تصر وتزمجر ، وسقط على حين غرة رقاصها الرصاصي الثقيل ، ثم هدأت كل حركة ، ولم يعد يسمع أي صوت ...

لقد وقفت الساعة عن الدوران

وخرجت الأم المسكينة إلى الطريق تنشد طفلها العزيز وتناديه

وهناك بين الثلوج كانت تجلس امرأة عجوز ترتدي الثياب السود الطويلة ؛ فما إن رأت المرأة الأم حتى هتفت بها :

— إن ملاك الموت قد دخل دارك ، ولقد رأيته خارجاً منها وهو يحمل ابنك الطفل ، لقد ذهب بسرعة البرق وهو لا يعيد قط ما سلبه

فقالت لها الأم بتوسل وتضرع :

— ولكن أخبريني بربك من أين ذهب ، وإلى أية ناحية اتجه . أتوسل إليك أن تخبريني بذلك ، وسألحقن به وأجده

فأجابتها ذات الثياب السود :

— إنني أعرف الطريق التي سلكها ، ولكن قبل أن أرشدك إليها أريد أن تنشديني كل الأغاني التي كنت تنشدينها ابنك الطفل . إنني أحبها كثيراً ، وأحب صوتك العذب أيضاً . إنني أنا « الليل » ولطالما سمعتك وأنت تنشدين ، ورأيت عبراتك تفيض على وجنتيك وأنت تغنين

— سأنشدك إياها بأجمعها ، ولكن في غير هذا الوقت ، فلا تعيقيني الآن عن اللحاق بولدي والفوز به

فاعتصم « الليل » إزاء هذا الجواب بالسكوت ولم يحر جواباً . ألوت الأم حينذاك يديها وأخذت تذرف الدمع السخين . ثم شرعت تنشد أغانيها الواحدة تلو الأخرى . إن أغانيها كثيرة ، ولكن الدموع التي ذرفتها كانت أكثر من عدد الأغاني كلها

وعند ما نفدت الأغاني وانتهت الأم من الإنشاد ، رفع « الليل » رأسه إليها وقال :

— إذهبي يميناً في غابة الصنوبر المظلمة ، فمن هنا لاذ « الموت » بالفرار ومعه ابنك العزيز

فأسرعت الأم إلى الغابة وصارت تغذ الخطا فيها ؛ وما كادت تنتصفها حتى تشعب الطريق فلم تدر أي سبيل تسلك . ونظرت حولها فوجدت عوسجاً من الشوك ، ذهب برد الشتاء وجليده بأزاهيره وأوراقه ، وجعل أغصانه تتدلى في الهواء وحدها . فدنت منه وقالت :

— ألم تر الموت حاملاً ولدي ؟

فأجابها العوسج بقوله :

— أجل لقد رأيته ، ولكني لن أرشدك إلى الطريق التي سلكها إلا بشرط . ذلك أن تدنيني — أولاً — من صدرك كي أصيب بعض الدفء لأني أوشك أن أجمد وأفنى من شدة البرد ، أكاد أصبح قطعة من جليد

وأدنت العوسج منها ، وضغطته على صدرها لتنيله مبتغاه من الدفء ، وتذيب عنه الجليد المتجمد بحر صدرها ، فنفذ الشوك إلى لحمها ، وسال الدم القاني من صدرها بغزارة ، ونزف منها بكثرة ؛ فنبتت للعوسج أوراق طرية خضر ، وجللت الأزاهير الناضرة عروقه وفروعه في تلك الليلة الشديدة البرودة من فصل الشتاء ...

ولكم في صدور الأمهات الحزانى من نار تستعر ولهيب يتأجج

ثم أرشدها العوسج إلى الطريق التي يجب أن تسلكها ...

ووصلت بعد حين إلى شاطئ بحيرة لا سفينة فيها ولا قارب ، ولم تكن البحيرة من التجمد بحيث يسهل المرور عليها دون أن يغوص فيها المرء أو يتكسر جليدها ، كما أنها كانت شديدة العمق ؛ فلم يكن من الممكن أن تقطعها الأم خوضاً . وكان لا بد لها من أن تصل إلى الضفة المقابلة إن كانت راغبة في الحصول على ابنها

وثار الحب في صدرها والحنين ؛ فارتمت على الأرض لترى إذا كان في مقدورها أن تبتلع ماء البحيرة كله ! ... فكان هذا ضرباً من التفكير العقيم ؛ ولكنها فكرت في أن الله رحمة منه وشفقة لا بد من أن يحدث لها معجزة تمكنها من اجتياز البحيرة . فقالت لها البحيرة حينذاك :

— ولكن لا ... إن هذا لن يكون أبداً ... كوني أكثر عقلاً وأبعد نظراً ، وفكري فيما إذا كان في الإمكان أن نتراضى ونتفق . إصغي إلى ما سأقول :

أحب أن يكون في أعماق جواهر ولآلئ ، وعيناك هاتان لهما بريق وضياء وسحر وبهاء أكثر من الدر الكريم نفسه الذي لم أملكه قط في ماضيات أيامي ، فإن شئت فاذرفي الدمع سخيناً وأكثري من البكاء كثيراً ، فإذا ما فعلت فإن عينيك ستخرجان من محجريهما ، وحينذاك أقودك إلى ملجأ النبات الكبير(١) على شاطئي الآخر ، وملجأ النبات هذا هو مقر الموت أيضاً ... الموت الذي يحصد الأزهار والأشجار ، وكل زهرة أو شجرة فيه هي رمز لحياة إنسان

فأجابتها الأم بحرقة والتياع :

— أفلا أجود بهما في سبيل استرداد ولدي ؟

من كان يحسب أنه مازال في مآقيها دموع ؟ ولكنها ذرفت الدمع السخين بحرقة والتياع لم تعرفهما قبلاً وخرجت عيناها من محجريهما ، وذهبتا إلى البحيرة حيث استقرتا في قاعها ؛ وانقلبتا إلى لؤلؤتين غاليتين لم تحز قط مثلهما ملكة من الملكات

ورفعتها البحيرة حينذاك، كما لو كانت في أرجوحة، وبحركة موجة واحدة نقلتها إلى شاطئها المقابل حيث يقوم هناك بناء كبير فخم ، يجاوز طوله مساحة فرسخ كامل . ولم يكن ليقدر على تمييزه من بعد أحد : أهو جبل بمغاوره وغاباته أم هو بناء للفن والجمال ؟

غير أن الأم المسكينة لم تستطع أن ترى مما حولها شيئاً ، لأنها جادت بعينيها في سبيل ولدها

وهنا علا صوت الأم وقالت بيأس شديد وألم مرير :

— ولكن كيف أعرف الآن الموت الذي انتزع مني ولدي واختطفه من بين يدي ؟

فأجابتها امرأة عجوز كانت تتمشى هناك جيئة وذهوباً ، وتحرس الملجأ وترعى الأزاهير والأشجار :

— إن الموت لم يأت بعد ... ولكن كيف وصلت هذا المكان ؟ وأي طريق سلكت ؟ بل من الذي أعانك على الوصول إلى هنا ؟

— إن الله عز شأنه هو الذي أغاثني وأعانني على ذلك ... إنه رؤوف رحيم. وأنت أيتها العجوز سترأفين بي وتشفقين علي. أخبريني أين أستطيع أن أجد مهجة نفسي وفلذة كبدي الغالية ؟

فقالت العجوز :

— ولكن لا أعرف ابنك ، وأنت — كما أرى — كفيفة البصر . وقد ذبل في هذه الليلة كثير من الأزهار والأشجار والنبات ؛ وسيأتي الموت بعد قليل كي يقتلعها من الملجأ . وأنت تعلمين دون ريب أن لكل كائن بشري في العالم شجرة أو زهرة في هذا المكان تمثل حياته وصفاته ، وهي تموت عندما تحين منيته والمرء حين ينظر إلى هذه النباتات يحسبها من النباتات العادية التي لا قيمة لها ولا شأن يذكر . ولكن عندما يلمس إحداها يشعر للحال بوجيب قلب وخفقات فؤاد ...

تعالي معي إلى الملجأ وجسي تلك الأزهار والنباتات ، فلعلك تهتدين إلى خفقات قلب ولدك . . . وماذا تعطينني إذا أرشدتك إلى ما يجب عليك صنعه أيضاً ؟ ...

فأجابتها الأم المسكينة بحزن وألم :

— لم يعد لدي شيء أمنحك إياه ، ولكني سأبحث لك عن شيء يدخل إلى نفسك الغبطة والسرور ؛ ولو كان ذلك من أقصى الأرض

ولكني لست بحاجة إلى شيء من خارج هذا المكان. أعطيني

(١) La serre هو مكان من الزجاج كله أو بعضه ، وهو مخصص لايواء بعض النباتات التي لا تستطيع مقاومة البرد في فصل الشتاء

شعرك الطويل الأثيث؛ وأنت تعلمين دون ريب أنه جميل ساحر. إنه يعجبني كثيراً وسأستبدله بشعري الأشيب

فقالت لها الأم :

— أما تروميں شيئاً غير هذا ؟ إنه لأمر سهل ! هاك ... إنني أمنحك إياه بملء إرادتي ، وكامل رغبتي

ثم اقتلعت شعورها الجميلة — التي كانت زينة شبابها الغض وصباها الناضر — واستبدلتها بشعر العجوز ، وهو قصير شديد القصر ، أبيض ناصع البياض

واقتادتها العجوز من يدها ... ثم دخلتا إلى الملجأ الكبير ، حيث كانت أجمل النباتات وأكثرها نضارة ، تنمو بشكل باقات متراصة . وكان يرى تحت أجراس بلورية أجمل أزهار السوسن وألطفها ، وإلى جانبها أزهار الفاوبا[1] المتفتحة . وكان يوجد أيضاً نباتات مائية شديدة النضار ، وأخرى ذابلة أو شبه ذابلة ، وكانت جذورها محاطة بالأفاعي الرُقط . وغير بعيد كانت أشجار النخيل الباسقة قائمة هناك، وإلى جانبها أشجار السنديان والدلب. وفي مكان آخر كانت تنزوي حديقة البقدونس والسعتر وبقية البقول الأخرى ، التي هي رمز العنصر النافع للحياة . وكان يوجد عدا ذلك شجيرات ولكنها كبيرة وضعت في أوان ضيقة ، وهي تبدو في أوانيها هذه وكأنها على وشك الانفجار . وكان يرى أيضاً زهيرات صغيرة رديئة في بعض الأواني الصينية تحيط بها أزهار البابونج ، وقد اعتني بها كل الاعتناء . كل هذا كان يمثل حياة البشر الذين ما زالوا حتى الساعة أحياء يرزقون ، يقطنون الكرة الأرضية من بلاد الصين إلى جزيرة غرونلاندا[2]

وأرادت العجوز أن تشرح لها كل هاتيك النظم والترتيبات الخفية ، غير أن الأم رفضت ذلك وأبت أن تصغي إلى مقالتها ، وطلبت من العجوز أن تقودها إلى كل نبت صغير طري العود . وأخذت الوالدة المسكينة تشم كل واحد من هذه النباتات بأنفها وتجسه بيدها ، لتحس نبضات قلبه وخفقات فؤاده . وبعد أن جست المئات والآلاف ، تمكنت من معرفة دقات قلب ولدها ، وما أن عرفتها حتى صاحت بفرح وابتهاج :

— « إنه هو ... »

ومدت يدها إلى نبت صغير تهدلت أوراقه ، وبدا عليه الذبول بأجلى معانيه وأوضح صوره فصاحت بها العجوز قائلة :

— حذار أن تلمسيه، وابقي هنا إلى أن يؤوب الموت — ولن يطول غيابه — وامنعيه من أن يقطف هذا النبت ، وهدديه باقتلاع جميع الأزهار المحيطة به إن هو فعل ذلك ، وسيخشاك ويرهب جانبك ، لأنه مسؤول عنها أمام الخالق المعظم ، ولا يجوز لنبت ما أن ينزع من مكانه قبل أن يأمره الله بذلك

وفي هذه اللحظة هبت ريح عاصفة شديدة البرودة ، فتنبأت الأم بأن الموت يدنو ويقترب

ووصل الموت بعد يسير من الوقت ، فلما رأى الأم نظر إليها شزراً وقال لها بغيظ :

— كيف تمكنت من الوصول إلى هنا ، ومن أرشدك إلى الطريق ؟ وسبقتني أيضاً ؟ ماذا صنعت ؟ وكيف وصلت ؟

واكتفت الأم المسكينة بهذا الجواب المقتضب :

— « إنني أم ... »

ومد الموت يده الطويلة المقفاء إلى النبت الصغير ؛ ولكن الأم أحاطته بيديها ، وضغطتهما في حرص شديد واعتناء زائد حذراً من أن ترضه أو تلحق ببعض أجزائه الدقيقة أذى . فنفخ الموت حينئذ على يدي الوالدة المسكينة فشعرت بهما تسقطان خائرتين . وكانت نفخة الموت هذه أشد برودة من رياح أكثر فصول الشتاء برداً وزمهريراً

وقال لها الموت :

— إنك لا تستطيعين مما كستي في شيء

— ولكن الله تعالى أقوى منك وأشد بأساً

— أجل . وأنا لا أفعل إلا ما يأمرني به ... إنني مُزارعه ! إن هذه النباتات والأشجار والشجيرات عندما لا تجد سعادتها وهناءها في هذا المكان أقتلعها لأغرسها من جديد في حدائق أجمل وأروع ، وجنة الخلد الكبيرة إحدى هذه الحدائق ، إنها أمكنة مجهولة ولا أستطيع أن أخبرك بما يجري هناك

وعادت الأم فصاحت من قلب جريح ونفس مكلومة :

— الرحمة ! الشفقة !... لا تقتلع غصن ولدي بعد أن وجدته

(١) نبات جبلي ، ذو أزاهير مختلفة الأشكال ، متباينة الألوان

(٢) Grœland جزيرة كبيرة تقع في شمال أميركا يبلغ عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة ، ومساحتها تسعون ألف كيلو متراً مربعاً

وأخذت تتوسل وتتضرع ، وتنتحب وتتحسر ، غير أن الموت لم يصغ إلى بكائها ونحيبها ولم يُعر صنيعها اهتمامه أو انتباهه . وقبضت الأم حينذاك على زهرتين ناضرتين والتفتت إلى الموت وقالت له مهددة :

— أنظر ... إننى سأقطفهما مع جميع الأزهار التى تحيط بهما وسأتلفها كلها . إنك تدفع بى إلى اليأس المرير

فصاح بها الموت :

— لا تجذبيهما ! ... لا تتلفيهما ! ... تزعمين أنك تعيسة شقية وفى نفسك رغبة فى سحق قلب والدة أخرى ؟ ...

— قلب والدة أخرى ؟

قالت المسكينة هذا وخلّت الأزهار من يدها حالاً

فقال لها الموت حينذاك :

— خذى عينيك ، إنهما تبرقان وتلمعان بصفاء ووداعة أكثر من الوقت الذى أخرجتهما فيه من البحيرة . لم أكن أعرف أنهما تخصانك . خذيهما وانظرى بهما إلى أعماق هـذه البئر ، فستريك ما كدتِ أن تهدميه فيما لو اقتلعت هذه الأزاهير ، وسترين فى انعكاسات الماء الحظ المقسوم لكل من هاتين الزهرتين يمر أمامك كالسراب ، وستريك أيضاً الحظ المقسوم لابنك فيما لو كتبت له الحياة

وانحنت الأم على البئر فرأت صوراً من السعادة الضاحكة وألواحاً من البشر والسرور . ثم مرت بعد ذلك مشاهد مخيفة من البؤس والحزن والكآبة . وقال الموت معلقاً على ذلك :

— هذا وذاك كله من صنع الله ومشيئته

فأجابت الأم بحزن وغم :

— ولكنى لم أتمكن من تمييز ما كان مقدراً لولدى ...

فقال لها الموت :

— لن أخبرك بشىء من ذلك ؛ غير أنى سأعيد مشهده أمام ناظريك ثانية بين جميع الصور والألواح التى مرت أمامك الآن ؛ وقد رأيت دون ريب ما كان ينتظر ابنك فى الدنيا

جثت على ركبتيها وهى مضطربة حيرى ، وأخذت تصيح :

— أتوسل إليك ... قل لى أكان هـذا الحظ المخيف مقدراً له ؟ ولـكن لا ... أليس كذلك ؟ تكلم ... ألا تريد أن تجيب ؟ آه ... وقطعاً للشك خذه ... كى لا يعرض نفسه للخطر ، وكى لا يجابه مصائب وكوارث كالتى رأيت . إننى أكن من الحب لهـذا الطفل العزيز — البرىء من كل جرم ، والبعيد عن كل إثم — أكثر مما أكن لنفسى . خذه ... وليبق الحزن والأسى لى وحدى . إذهب به إلى عالم السماء والخلود . . . وانس الدموع الغزار التى سكبتها ، والتضرعات الحارة التى توجهت بها إليك ... إنس كل ما بدر منى من صنيع أو قول

فقال لها الموت :

— ولـكنى لا أفهم مبتغاك ! ... أتريدين استرداد ولدك ؟ أم تريدين أن آخذه إلى المكان المجهول الذى لا أستطيع أن أحدثك عنه ؟

فجثت الأم حينذاك على ركبتيها ورفعت يديها ، وجأرت إلى الله بدعائها :

— « رباه ! لا تصغ إلىّ إذا التمست فى أعماق نفسى ما يخالف إرادتك وينافى مشيئتك اللتين هما من أجل صالحنا ونفعنا أبداً . لا تصغ إلىّ ولا تستجب منى يا رباه ... »

وسقط رأسها بهدوء وبطء على صدرها ، وغرقت فى لجة من الحزن العميق والغم الشديد

ودنا الموت من النبت الجميل الصغير واقتلعه ... وذهب به إلى الحديقة المجهولة ليغرسه فيها ...

ترجمة

(دمشق) عبد الغنى العطرى

كراسى أحد غالبى الملاريا

٤ أيار سنة ١٩٢٥

فيرميشينو القرية الصغيرة قرب روما فى حزن كبير . فى حين أن الحياة تظهر فى كل مكان مع مجىء الربيع فان هذه القرية غمرها الأسف لموت شيخ خصص السنوات السبع الأخيرة من حياته المملوءة عملا كى يضمن رفاهيتها وهذا العالم اسمه جيوفانى باتستا كراسى فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٥ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ٥٨ فى المائة إلى ٢ فى المائة .

لقد كان كراسى أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفتخر بهم. فقد كرس نفسه على الأخص لدرس مقاومة الملاريا فالفضل يرجع إلى رونالد روس وإليه فى اكتشاف أن عدوى هذا المرض تنتقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل . لـكن هذا غير كاف فالى جانب أعمال كراسى اللامعة لا يمكننا اغفال ذكر عمل لجنة الملاريا لجمعية الأمم التى تصف الـكينا كدواء فعال وهو فى نفس الوقت واق وشاف ضد هذا المرض كما أنه لا ضرر منه، فحسب رأى هذه اللجنة يجب أخذ ٤٠٠ ملليجرام من الـكينا يوميا طول مدة موسم الحميات لتجنب العدوى ويكفى جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام لاشفاء شخص مصاب، ولا لزوم لمعالجة تكميلية وفى حالة الانتكاس يطبقون الطريقة نفسها وهى ناجحة .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـــ عابدين ﴾